مكان مع الخنازير

تأليف : أثول فوجارد
ترجمة : محمود أبو دومة

عن المؤلف والمسرحية

يُعد أثول فوجارد من المؤلفين المعاصرين الذين يمارسون الإخراج والتمثيل ويؤسسون الفرق فى إطار مفهوم المسرح التجريبى . وقد وُلِد عام ١٩٣٢ بجنوب أفريقيا فى منطقة رعى بمقاطعة « كيب » ، وهو لأم زنجية وأب من أصل ايرلندى . وقد جمع خبرات متعددة فدرس ميكانيكا السيارات والفلسفة والأنثروبولوجى . وتاجر عبر البحار لمدة عامين ، لكنه يعود عام ١٩٥٦ فيؤسس فى مدينة « كيب » أول فريق للمسرح التجريبى مع زوجته الممثلة ـ آنذاك . شيلا مرينج مسرح ليعرض على مسرح « لابيا » ليالى الآحاد .

وفى عام ١٩٥٩ يحاول العمل بالمسرح الأوروبى فلا يتمكن من ذلك فى انجلترا فيعمل بالمسارح الهولندية ثم يعود إلى جنوب أفريقيا عام ١٩٦١ ليصبح مديرا لمسرح صغير هو مسرح برهرسل « البروفة » . وفى عام ١٩٦٣ يؤسس فريق ممثل السربنت ، وتتوالى المشروعات الأعمال .

من أشهر اعماله فى مصر والتى قدمها طلاب معهد فنون مسرحية مات سيزوى بانزى التى كتبها عام ١٩٧٢ وحصلت على جائزة أحسن مسرحية لعام ١٩٧٣ من رابطة النقاد المسرحيين بلندن ونوجوجو ورابطة الدم والناس يعيشون هناك وبوزمان ولينا والضيف .

وقد قام بإخراج عدد من المسرحيات العالمية إلى جانب أعماله ، مثل فى انتظار جودو وشريط كراب الأخير كما أخرج فى لندن عام ١٩٦٦ لوولى سوينكا محاكمات الأخ جرو وقد سحبت السلطات جواز سفر عام ١٩٦٧ ولكنها أعادته عام ١٩٧١ ليخرج على مسرح الرويال كورت مسرحيته بوزمان ولينا بعد أن فازت بجائزة أوبى Obie

أما المسرحية التى تنشرها المجلة فى هذا العدد مكان مع الخنازير فقد كتبت عام ١٩٨٨ والناشر هو فابر وفابر بلندن . وقد قدمها مسرح السوق بالعاصمة جوها نسبرج ومسرح كوتسلو بلندن وكذلك مسرح جامعة « ييل » فى مدينة نيوها فن بالولايات المتحدة الأمريكية حيث أخرجها أثول فوجارد نفسه وقام كذلك بدور بافل وقامت سوزان شيبرد بأداء دور براسكوفيا .

والمفاجأة الحقيقية أن المسرحية تنهض على أساس من واقعة حقيقية بطلها الشاويش بافل نافروتسكى الهارب من ميدان الحرب إبان الحرب العالمية واختبأ لمدة ٤١ عاماً فى « زريبة » خنازير !!

المشهد الأول : الاحتفال بعيد النصر !

«زريبة خنازير فى قرية صغيرة ، المكان رطب وموحش ، يبدو أنه مهجورٌ منذ زمن طويل ، الجدران مغطاة بآثار شخص يعد الأيام بعلامات بدائية وبآلة حادة ، يجمع الأيام فى مجموعات لتصبح أسابيع ، ومن مجموعات الأسابيع تتكون الشهور التى تترجم إلى سنوات ، تبدو أنها الفترة مابين عام ١٩٥٣ و ١٩٥٤ . أصوات الخنازير قلقة وهى تنتظر الطعام ، أحد هذه الخنازير يصيح بصوتٍ عالٍ :

فى هذا المكان يعيش بفيل إيفا نوفيتش نافروتسكى ، شابٌ فى النصف الثانى من الثلاثينات ، يائس ، وعلى شفا الجنون ، يمسك فى يده ورقة وقلماً ويحاول أن يكتب مسوّدة خطاب»

بفيل : سيدى الرفيق القائد العام . بفيل ايفانوفيتش لم يمت ، بل يقف بين أيديكم فى هذه اللحظة والأمل يملاء قلبه حتى تستمعوا إلى قصته ثم تتصرفوا معه بما ترونه مناسبا . سيدى الرفيق . والسادة الرفقاء ، بفيل يتوسل إليكم أن تصدقوا أنه نادمٌ على مافعل «يسمع صوته بصعوبة وسط صياح الخنازير الجائعة فيعلى صوته «صدقوا أنه

فعلا . نادم على ما فعل والخنازير « اخرسوا . . اخرسوا « ويلتقط عصاه ويضرب الخنازير وصمتاً ايها الأوساخ الملاعين . صمتاً . صمتاً . وصوت الخنازير يعلو ، ثم ينخفض ، فيعود بقيل الى خطابه » والسادة الرفقاء : اتوسل اليكم ايضا أن تصدقوا انه فى غاية الندم على مافعل ، ويعلم تماما العالم أنه قد اخطأ ويصمم الجملة « اسألكم عندما تقررون عقابى أن تضعوا فى اعتباركم أنى حاكمت نفسى فوجدتها مذنبة ، .

الذا فانا التمس من عدالتكم تخفيف العقاب رحمة بى « وتعلو أصوات الخنازير فيتجه نحو الباب ثم ينادى « براسكوفيا . . . براسكوفياه لا يتلقى رداً . . براسكوفيا .

براسكوفيا : (صوتها آت من بعيد) سأحضر حالا . . احضر .

بقيل : احضرى بسرعة « وتظهر براسكوفيا وهى تحمل ربطة من طعام الخنازير »

براسكوفيا : لقد حضرت باسرع مايمكن

بقيل : بل تأخرتِ .

براسكوفيا : لم اتأخر يا بقيل ، لم اتأخر

براسكوفيا : لا تناقشينى ايتها المرأة ، انظرى اليهم « ويشير إلى الخنازير » إنهم يدفعوننى للجنون ، لم أعد أطيق هذا المكان .

براسكوفيا : حسنا ، لقد تأخرت

بقيل : إذن عليكِ بهم يا براسكوفيا ، اطعميهم فأنتِ لا تعاشرينهم إلا ساعاتٍ قليلة ، أما أنا فأواجه أقسى اختبارٍ فى حياتى كلها بينهم .

براسكوفيا : أعلم ذلك يا بقيل

بقيل : شىء لا يمكن تصوره .

براسكوفيا : لقد أعطانى الله يدين وقدمين أعمل بهما منذ استيقاظى فى الصباح حتى آوى إلى فراشى فى الليل ، كما لو كنت أقضى عقوبة أشغالٍ شاقة ثم إننى أطعم الخنازير قبل موعدها بساعة حتى أتفرغ للعناية بك ولمساعدتك قدر ما أستطيع .

بقيل : « ويعود إلى خطابه » السادة الرفقاء إن هذا الرجل الواقف أمامكم لم يبق منه إلا البؤس والشقاء ، مخلوق ضعيف لا يساوى إلا احتقاركم ، ولو أنكم شاهدتم سنوات الألم والعذاب التى عاشها والكيفية التى عاقب بها نفسه لقال لكم ضميركم النبيل : لقد عاقب نفسه فأطلب بما يكفى فاطلق سراحه فقد حبس نفسه عشر سنوات ، هل كانت حقا عشر سنوات ؟

براسكوفيا : نعم

بقيل : ليست تسعاً ؟

براسكوفيا : لا

بقيل : ولا احد عشر ؟

براسكوفيا : لا « وبقيل يذهب إلى الحائط وهو ينظر إلى العلامات التى خطها عليه » ولقد احصيت هذه الأرقام مائة مرة من قبل يا بقيل .

بقيل : نعم عشرة أعوام وشهران وستة ايام بالضبط ، ها هى ذا « ويشير إلى الحائط وهو يتراجع فى إعجاب ، مثلما يفعل فنان وهو يتأمل لوحة » لا يستطيع احد أن يجادلنى فى هذا ، فقد احصيتها يوما يوم ، سيدى الرفيق ، السادة الرفقاء ، احصوها بأنفسكم ، . . كل يوم يمر وانا اتجرع هذا العقاب الذى فرضته على نفسى .

براسكوفيا : فقط عشرة أعوام ، احيانا عندما احضر إلى الزريبة لأطعمك وأطعم الخنازير اشعر انك قضيت هنا عشرين عاماً

بقيل : عشرون فقط ، . . ربما تساوى عندك هذا القدر أما انا فأشعر أنها مائة سنة ، لا . بل مائتان ، . . بل اشعر إنها قرون ، يجب أن تفهمى أن حياتى هنا لم يكن فيها إلا فلسفتان تسيطران على وجودى ، وتتخللان كل قطعة فى كيانى ، هما : روث الخنازير ، والزمن .

كان علىّ أن اتعامل معهما بكل حواسى ، كان علىّ أن اشم الروث ، واحسه ، وأتذوقه ، بينما روحى تغوص فى الزمن ، الثوانى الثقيلة ، الدقائق الثانية ، والساعات البطيئة ، والأيام المملة ، والشهور المتكررة الثابتة كل هذه الأشياء صنعت تلك السنوات التى تزحف مثل سلحفاة ثقيلة .

براسكوفيا : يجب أن تخبر الرفيق القائد العام بكل ذلك يا بقيل .

بقيل : إننى أنوى ذلك

براسكوفيا : كم هو وصفٌ مؤثر .

بقيل : « يمسك بأوراق الخطاب » . بالطبع سأفعل لاتقلقى ، إننى أنوى أن اضع أمام السادة الرفقاء صورة حيةٍ لما حدث هنا منذ الليلة الأولى حتى هذه اللحظة .

براسكوفيا : نعم كان ذلك فى مساء يوم احد .

بقيل : مساء أحد أو سبت لليلة الأولى تلك الأهمية

براسكوفيا : إذا كنت تبغى أن تتذكر لهم الحقيقة فقد كانت مساء يوم احد ، أنا متأكدة ، كنت أود فى هذا اليوم أن أذهب إلى الكنيسة ، ولكن هبت عاصفة ثلجية منعتنى من الذهاب فأويت إلى سريرى ، وبينما كنت أحاول للمرة الثالثة أو الرابعة سمعت طرقات على الباب « وبقيل يبدو شاردا مشجعا براسكوفيا باصغائه على أن تستمر فى سرد الذكريات » فى أول الأمر ظننت انه كلبٌ صغير ، يحاول أن يجد مأوى يحميه من الريح الثلجية ، ولكن عندما سمعت شيئا ينقر على النافذة قلت لنفسى : لا يمكن أن يصل الكلب إلى النافذة ، وعندما اختلست النظر خلال الستارة ، . . يا مريم العذراء ، . . ظننت إنى أرى دبا كبيرا أسود ، يرتدى معطفك وقد غطاه الثلج ولكن حينما نقرت النافذة مرة أخرى ، رأيت يدك ، فتحت لك الباب ، فدخلت ، وظللت دقائق لا أصدق إن هذا المخلوق البائس هو أنت . كان يجب أن ترى نفسك ياقبل شىء لا يصدق .

بقيل : « يشجعها على الاستمرار فى الحكاية » نعم ، نعم .

براسكوفيا : كانت شفتاك زرقاء ، واصابعك متصلبة من البرد ، كنت بالكاد تمسك طبق الحساء الذى كنت احاول أن أقدمه لك ، كان علىّ أن اطعمك كالطفل ، وعندما نطقت أول كلمة قلت ، . . قلت . . (تحاول أن تتذكر)

بقيل : نعم . استمرى ، ماذا قلت ؟؟

براسكوفيا : احضرى لى حذائى الصوف أكاد أن أتجمد .

بقيل : استمرى ، ماذا حدث بعد ذلك ؟

براسكوفيا : عندما أحضرته لك ، احتضنته وانهمرت فى بكاء عميق ، واخذت تشهق ، صدقنى يا بقيل لقد كنت تبكى بصوت يمزق القلب ، وفجأة وقفت وجلت ببصرك فى أنحاء المنزل ، ثم سقطت فاقد الوعى .

« وبقيل يحضر لفافة غبلة بعناية فى مكان ما حيث يعيش ، ثم يجلس إلى المائدة ، ويمسح يديه فى قميصه ، بفخر شديد يفتح اللفافة ، فيظهر منها حذاء

صوفى» .

بافيل : يا أمى ، كل مرة أنظر إليه أو ألمسه أو حتى أفكر فيه ، يطفح من قلبى حزن وإحساس بالذنب يكاد يحطم روحى ، كما حدث من عشر سنوات مضت ، انظرى يابراسكافيا إليه ، انظرى إلى النقوش التى رسمت عليه ، زهور صغيرة وطيور .

براسكوفيا : إن صناعته جميلة بحق .

بافيل : إنها يد أمى الجميلة .

براسكوفيا : كانت تملك يدين فى غاية المهارة ولازالت تنظر بإعجاب إلى الحذاء الصوفى، انظر إلى اولوان ، لازالت زاهية ودافئة ، يجب أن تلبسه يا بافيل قبل أن تأكله الفئران .

بافيل : ألبسه ؟ ! هنا ؟ ! كيف جرؤت على هذا الاقتراح ؟ هذا حرام ، ضميرى لايسمح ، لن ألبسه قبل أن أصبح رجلاً حراً ! هذا ما أقسمت عليه بشرفى «بلمل» ومن يدرى ربما يكون هذا اليوم قريبا ويسمع على بعد صوت جوقة نحاسية ، تسمع فيها كل آله بوضوح شديد» الفرقة الموسيقية وصلت ، إنهم يستعدون للاحتفال «وقفة ثم بهدوء» أثناء الحرب على الجبهة كانوا يحضرون الهاربين من المعركة ، هؤلاء الذين فروا من الميدان ، ويجلسونهم بالأمر على ركبهم ، ثم يُطلق عليهم الرصاص من الخلف طلقة واحدة فى الرأس وينتهى كل شىء دون محاكمة ، كان الدم الأحمر القانى يسيل على الثلج فيلونه «يرتب أوراقه» صلى من أجلى يابراسكوفيا ، صلى من أجلى .

براسكوفيا : لقد فعلت هذا عدة مرات

بافيل : صلى أكثر وأكثر . . . وتمنى رحمة الله فى صلواتك ، ليس لأنى استحق الرحمة ، ولكن لأنى احتاج إليها .

براسكوفيا : سأركع على ركبتى وأصلى كما لم أصل فى حياتى من قبل ، سأصلى حالما تخرج من هذا الباب ولكن للمرة الأخيرة ، هل أنت على ثقة أن ماتفعله هو الصواب ؟

بافيل : نعم ، نعم ، فلنتحدث عن الاحتفال مرة أخرى .

براسكوفيا : مرة أخرى ؟

بافيل : نعم ، ولم لا ؟ بل مئات المرات إذا لزم الأمر ، أستحلفك بالله ، فحياتى كلها معلقة بهذا اليوم .

براسكوفيا : لقد أعلن كافة الناس أن عليهم الوقوف فى ساحة القرية الساعة العاشرة ، حيث سيبدأ الاحتفال بوصول فيلق المحاربين القدماء ، ثم تلتقى كتيبة البراعم الصغيرة بكتيبة المدفعية ، ويسيرون فى الشوارع التى سارت فيها اوائتنا من عشر سنوات عندما حققوا النصر العظيم ، . . وبعدما يجلس الجميع سنغنى جميعا نشيد الثورة ، ثم يلقى الرفيق عمدة القرية خطاباً يرحب فيه بالجميع ، ثم يقرأ خطاب اللجنة المركزية فى موسكو ، وبعد ذلك سنغنى الأغانى الحماسية التى تلهب مشاعر الجميع ، حتى يلقى الرفيق الوزير تشومسكى خطابه ، ثم يزيح الستار عن النصب التذكارى للجندى المجهول ، وبعد إزاحة الستار سيقرأ مدير المدرسة أسماء الأبطال الذين استشهدوا فى الحرب ، فيصعد أهلهم إلى المنصة للتكريم ، ثم يضعون باقة من الزهور أسفل النصب .

بافيل : فى هذه اللحظة سأظهر ، سأظل مختبئا خلف الصفوف فى الزحام حتى يقرأ الأسماء ، وعندما يصلون إلى اسمى سأتقدم للأمام وأقدم نفسى قائلا : «سيدى الرفيق القائد العام السادة الرفقاء الحاضرون ، بافيل ايفانوفيتش نالروتسكى لم يمت بل على قيد الحياة ، وهو الواقف الآن بين أيديكم يتوسل إليكم أن تنصتوا إلى قصته ثم تحكموا عليه بما يستحق .

براسكوفيا : أنا خائفة يا بافيل !

بافيل : خائفة ؟ وماذا أفعل أنا الذى سأقف أمام آلاف العيون التى تنظر إلىَّ وتحاكمنى ؟ !

براسكوفيا : أخشى أن يحدث لك مكروه .

بافيل : لن يحدث شىء .

براسكوفيا : يبدو أنك نسيت أن أهل قريتنا يمتلئون خسة وشراً .

بافيل : لقد أخذت القرار يابراسكوفيا ، واتفقنا أن يوم الاحتفال بعيد النصر هو أنسب الأيام التى أسلم فيها نفسى للسلطات ، ومن أدراك ، فربما يتأثر أهل قريتنا بجو الاحتفال والموسيقى والخطب الحماسية ؟ وربما تستطيع هذه الأشياء أن تؤثر فى مشاعرهم فيغفروا لى مافعلت ؟

براسكوفيا : (بشك وريبة) يغفرون ؟ بوريس راتنسكى يغفر ؟ أركادينا بترولنا تغفر ؟ لقد فقدت زوجها وشقيقها وأولادها الثلاثة فى الحرب ، إنهم يقولون أنها تحتفظ فى بيتها بصور لأودولف هتلر لتبصق عليها كل صباح عندما تستيقظ ! !

بافيل : (يصرخ فى يأس) براسكوفيا ، براسكوفيا ، إننى أحاول أن أمسك ماتبقى لى من شجاعة مجروحة وروح مهيضة فلا تحطمينى ، أرجوك ساعدينى أيتها المرأة ساعدينى (يهدأ) ليس هناك طريق آخر ، هذه فرصتى الوحيدة ، وليس أمامى إلا الجنون أو الانتحار ، إننى جادٌ يا براسكوفيا ، يوم آخر هنا سيجعلنى أذبح نفسى (يشجع نفسه) ولكن هذا لن يصبح ضروريا لأننى أعددت التماساً بليغاً إلى الرفقاء ، أعدك يا براسكوفيا أن أجعلهم يبكون من أجلى فى نهاية خطابى (يمسك أوراقه) أين هى ؟ أين هى ؟ (براسكوفيا تشير له أنه يمسكها فى يده) آه ها هى . . . اسمعى ، الليالى السوداء الباردة البائسة التى قضيتها سجيناً يأكلنى الندم ، ما رأيك فى هذا التعبير ؟ اسمعى . . . كنت أتنفس رائحة القبور ، . . براسكوفيا ألم تقولى لى ذات يوم أننى ممثل عظيم ، ولولا القدر لكنت حققت نجاحاً كبيرا على خشبة المسرح ، لقد جاءت الفرصة لأثبت لك ذلك ، إننى على استعداد (يمسك أوراقه) أن أزلزلهم بكلماتى ، أقصد بالإخلاص النابع من كلماتى والصدق ، . . عندما أقف أمامهم مرتدياً بدلتى العسكرية . . . .

براسكوفيا : (تقاطعه) تقف أمامهم مرتديا ماذا ؟

بافيل : بدلتى العسكرية ، التى ستجعلنى الجندى بافيل ايفانوفيتش نالروتسكى ، من كتيبة المشاة الرابعة .

براسكوفيا : بافيل . . .

بافيل : نعم بدلتى العسكرية لن تجعلنى

عملوا لهم . . .

براسكوفيا : بافيل ولماذا ؟ . . . . .

بافيل : أقول لك لن أكون عدواً ، يجب أن يعاقب بتهمة الهرب من ميدان المعركة ، لن أكون . . .

براسكوفيا : بافيل . . . . (تحاول أن تسكته) لا زالت بدلتك السوداء الجميلة موجودة لقد نظفتها وأعددتها لتكون جاهزة .

بافيل : بزتي ! ؟

براسكوفيا : نعم ألا تذكرها بدلة زواجنا

بافيل : بالطبع أذكرها ، ولكنني أنوى أن أرتدي بدلتي العسكرية

براسكوفيا : بافيل من فضلك . . . أرجوك

بافيل : ليس لدينا وقت لهذه المناقشات السخيفة ، أرجوك أن تفهمي أنني سأسلم نفسي ، والجندي لا يسلم نفسه وهو يرتدي بدلة زفافه !!

براسكوفيا : أرجوك أنصت إلىّ يا بافيل . . .

بافيل : لماذا تضايقينني يا براسكوفيا ؟ لماذا ؟ هل لابد أن نتناقش ونتشاجر حول كل شيء ؟ أرجوك ، رأسي مثقلة بما يكفي من المشاكل ، . . الآن اذهبي وأحضري الزي العسكري ، هيا ، تحركي «براسكوفيا تترك الزريبة بخطوات متثاقلة ، بينما يجلس بافيل وهو يمني نفسه» الشجاعة يابافيل . . . الشجاعة ، المسألة قد اقتربت بطريقة أو بأخرى ، ولكنها قد اقتربت «يجول ببصره في الحظيرة موجهاً كلماته إلى الخنازير» سأترككم حالا ، هل تسمعون ذلك يا أكلة القمامة ، عليكم أن تبحثوا عن صحبة أخرى تصبون عليها عذابكم القرف ، ولكن باسم الأيام التي تقاسمنا فيها هذا المكان أودعكم ، بافيل ايفانوفيتش ناروتسكي سيودعكم حتى آخر قطرة من أعماقه ، وليس لديه ما يقدمه لكم إلا تقززه واشمئزازه . «ينتزع عصاه ويوسع الخنازير ضرباً حتى يشعر بنوع من الارتياح ثم ينهال على الخنازير ضرباً مرة أخرى حتى يشعر بالإرهاق ،

ولكنه يبدو سعيداً لأنه سيترك هذا المكان القذر ، تدخل براسكوفيا صامتة ومرتعدة وتمد يدها بلفافة صغيرة إلى

روجها ، فيفتحها لتظهر منها بقايا بدلة عسكرية أكلتها الفئران ، كاب ، سترة ممزقة ، بنطلون مهلهل «ما هذا يا براسكوفيا !! ؟

براسكوفيا : لقد حاولت أن أخبرك

بافيل : براسكوفيا !!

براسكوفيا : هذا هو كل شيء ، أنت محظوظ لأن الفئران تركت منها شيئا ، عندما أعطيتها لي أمرتني أن أحرقها ، ولكنني وضعتها في دولاب قديم ، وكلما أخذت خرقة منها أخذتها «صوتها ينخفض» لم أكن أعرف أنك ستحتاج لها يوما .

بافيل : تريدين أن تقولي . . . . . .

براسكوفيا : نعم .

بافيل : ماذا تعنين بنعم ؟

براسكوفيا : ما أخبرتك به

بافيل : تعنين أن . . . . .

براسكوفيا : نعم أعني أن هذه هي بدلتك العسكرية ، أقصد مابقي منها .

بافيل : ولكن الأزرار النحاسية لازالت لامعة ، ما هذا لقد سقط منها بعض الأزرار ، هل التهمتها الفئران أيضا ؟

براسكوفيا : لم يكن هناك أزرار موجودة عندما عدت إلى البيت في تلك الليلة .

بافيل : ها أنت متأكدة ؟

براسكوفيا : نعم . «بافيل صامت وفي حالة ذهول وهو يفحص الخرق الباقية من بدلته العسكرية» لقد قضمتها الفئران «بافيل يلقي ماتبقى من بدلته العسكرية ، براسكوفيا تهز رأسها بينما يضع بافيل الكاب فوق رأسه ويؤدي التحية العسكرية ، براسكوفيا تهز رأسها مرة أخرى» شيء مضحك ، شيء مضحك «بافيل يبدو منهارا» اسمع نصيحتي ارتد بدلة زفافنا السوداء ، لقد جهزت لك قميصاً أبيض نظيفا وحذاء أسود لامعا ، ستبدو أنيقاً ستكون الرفيق بافيل ايفانوفيتش بدلاً من الجندي ناروتسكي ، الرفقاء سيرون شخصا محترما ورصينا وقد يكون هذا الأمر في صالحك .

بافيل : بالله عليك يا براسكوفيا ، ألا تفهمين أبداً ؟ إنه احتفال عسكري ، مناسبة عسكرية

كبرى ، ولا يمكن أن يحضرها هارب من ميدان المعركة ببدلة زفافه ، وإذا عقدوا محكمة عسكرية سيسألني الرفيق لماذا لا ترتدي ببدلتك العسكرية أيها الجندي ؟ فماذا أقول لهم : زوجتي مسحت بها الأرض والفئران جعلوا منها وليمة دسمة ؟ هل هذا كاف لأن ينقذ رأسي من فرقة الإعدام «يحاصره الشكوك» لا . . . لا . . . لا . . . لا . . . انتظري ، دعيني أفكر ، . . «يمشي في قلق» دعيني أعيد الموقف في ضوء التطورات المفاجئة «يهدأ بعض الشيء» لابد أن هناك حلاً سهلا ، . هناك حل سهل ، . أقول لك : افترضي أنني كنت على خطأ يا براسكوفيا .

براسكوفيا : أي خطأ ؟ عما تتحدث ؟

بافيل : أتحدث عنهم «يشير إلى الخارج» قد أكون مؤمنا بالطبيعة البشرية السمحة ، وقد تكون ثقتي في رحمة السادة الرفقاء المسئولين وقلوبهم الكبيرة «يبتلع ريقه» ولكن من الجائز أيضا أن تكون قناعتي وثقتي بهم مجرد وهم كبير فبدلاً من التسامح والغفران الذي انتظره بعد سماع قصتي لا ألقى منهم إلا الاحتقار ، فربما ذكرتهم لحظة ضعفي التي مررت بها منذ عشر سنوات بخيبة أمل كبيرة لايحبون تذكرها أو الاعتراف بها على الملأ في يوم النصر . أنتِ محقة يا براسكوفيا الكسندروفنا ، أنتِ محقة في شيء واحد فهؤلاء الذين يتكدسون في الخارج ليسوا ملائكة اجتمعوا حول نشيد الخلاص فالحقيقة أننا نعلم الكثير حول هؤلاء الرفقاء المحترمين لن يكون للرحمة مكان ، إن معتقداتي عن أفكارهم ومشاعرهم مرهونة بالبقية الباقية من إحساسهم بالانسانية والرحمة في قلوبهم إذا ما كان هناك بقية باقية ولكن معرفتنا بطبيعتهم القاسية تجعلنا نحتاج إلى معجزة «يضرب رأسه بيده» غبي ! غبي ! غبي ! إنني هنا منذ زمن طويل كان كافيا لأن أنسى الطبيعة البشرية ، الغفران والتسامح ؟ ! لقد تحملت الكثير من أجل هذه اللحظة وها هي تهرب مني «صوت الموسيقى النحاسية يرتفع» .

براسكوفيا : ماذا أفعل يا بافيل ؟ فأصواتهم

يرتفع وأنا لا أفهم ما تقول ، فإذا أن نقرر الخروج الآن أو لا شيء ووقفة هل تستحق يا بافيل ؟ اللحظة مواتية فهل تخرج ؟

بافيل : وبصوت لا أستطيع ، لا أستطيع ، فأنى أفضل على هذه الحالة ، بل إن يطاردني الفرصة لا ... فقط ، أن ... فما أن أنا أمامهم ... حتى ... على ... الآن التي ... فيها ...

براسكوفيا : هذا هو قرارك إذن ؟

بافيل : نعم هذا هو قراري ، والآن عليك أن تؤدي دورك .

براسكوفيا : أنا !!!

بافيل : نعم أنت قاسمتني .

براسكوفيا : ماذا تعني ؟

بافيل : ارتدي فستانك الأسود ، وأمسكي بعض الزهور ، فهي جنازة مهيبة تستحق العناء ! وعندما تسمعينهم ينادون على اسمي بين أسماء الشهداء اذرفي الدموع الحارة لأن زوجك يرقد الآن في قبره !!

براسكوفيا : (بعصبية) هل تريدني أن أخرج وأتظاهر أمام الناس بحزني على وفاتك !

بافيل : أليس هذا مافعلته طوال عشر السنوات الماضية ؟

براسكوفيا : نعم ، إنها الحقيقة ... ولكن ليس على الملأ ، ملابس حداد ، وزهور ، وموسيقى نحاسية !

بافيل : هل تودين التخلص من هذا الوضع ؟

براسكوفيا : نعم ! أقصد لا ! أعني إذا كنت تريدني أن أخرج الآن سأفعل ، ولكن لاتنس أنني فزعة من ذهابي للخارج مثلك ، ويبدو أنك لاتدرك هذا ، فلم أعد أعتاد الناس بسهولة ، فلا شيء يربطني بهم ، التعامل الوحيد الذي يشوقني للخروج من هذا المكان عندما أقتاد أحد الخنازير إلى الجزار ليذبحه ، هذه الخنازير هي العلاقة الوحيدة التي تربطني بالعالم القابع خارج هذا المكان ، أنا سجينة هذا المكان مثلك تماماً .

بافيل : لاتضيع الوقت يا براسكوفيا فإذا لم تكوني موجودة عندما ينادون على اسمي سيرتاب الناس من غيابك وعندئذ تبدأ الأسئلة وبراسكوفيا تتحرك على مضض إنني أحذرك من الآن فصاعداً عن الالتفاف حيا ... على موتي قبل أن يحل المساء .

براسكوفيا : لا بأس سأذهب للاحتفال ، ولكن دعني أذكرك إن هذه المشاعر القديمة لعاطفة كبيرة ، والاستمرار على هروبك كان جزءاً منها ، أما الجزء الأكبر فهو ما تطلبه مني ، سأذهب للاحتفال هل تريد ... ؟ !

وتخرج والمخاوف تملأ قلبها ومن بعيد تسمع صوت الآلات الموسيقية .

بافيل : ويمسك بيده حذاءه الصوفي آه يا أمي هذا الذي فعل كل شيء ، هذا الشيء كان خطيئتي ، أتعرفين لماذا ؟ لأنك نسجت بين خيوطه حباً لبافيل الصغير غير عابئة بما سيفعله هذا الحذاء الصوفي في حياته ، أو أنك تعودين من قبرك ستلحق اليوم الذي غزلت فيه يداك الرقيقتان الطاهرتان هذا الشيء وزفرة بائسة في البداية كان الأمر بسيطاً أعطوني بزة عسكرية وبندقية ، وعلموني كيف أحمي قادتي ، كان ذلك يوماً ربيعياً هادئاً .

فجأة قبلت زوجتي قبلة الوداع وسافرت وزملائي كي نكسب الحرب ، ولكني كنت أفكر في هذا الشيء ويمسك الحذاء الصوفي بعد أسابيع كنا قد سافرنا على أقدامنا مسافة طويلة وبعيدة عن الوطن ، ماتت الضحكة في القلب بعد أن قيلت كل النكات ، وقصت كل الحكايات في الليالي الباردة السخيفة الصامتة ، قطع هذا الصمت رجل له عيون يسكنها الشوق للوطن يجلس بجانب النار : هيا يا بافيل احك لنا عن حذائك الصوفي ، فأتحدث عنه وأسهب كل ليلة وقد ملأني الوجد لأن تعرف قدماي الدفء المفتقد في الليالي الباردة ، فأتذكر حينما كنت ألبسه وأجلس بجوار زوجتي أمام المدفأة ونحن نتحدث عن الطقس غداً أو عن الخنازير أو عن آخر إشاعات قريتنا ، انهضي يا أمي من قبرك وتصوري أن هذا الحذاء الصوفي الحقير قد حطم قلب رجل في الشتاء بعيداً عن وطنه ،

مر الشتاء الأول ولم يكن شيئاً ولكننا لم نعد ، قال بعض الجنود : ... الربيع ... ولكن الربيع ... ولم نعد ، فقال البعض : ... الربيع القادم ولكن لم نعد .

مر عام آخر ثقيل ، تساقطت فيه الثلوج وأخبار النصر تقول : إن يوم العودة بعيد ، لم أشعر بمثل هذا الثلج في حياتي ولا مثل هذا البرد ، وبدأ كل ... كانون ... جلودنا ... حتى يرد ... فقالوا ... كانت الأيادي بالكاد تتحرك ... كسرة خبز جافة نأكلها لنقاوم الموت ...

ولماذا ؟ من أجل أي شيء نموت من الجوع والبرد والبيوت دافئة وزوجات ينتظرن ؟ كل هذا الغباء كان يدفعني لأن أتقيأ ما في بطني الخاوية فجأة تذكرته ويقتحم الحذاء الصوفي إلى صدري تذكرته وقد فقد براءته وصار يطاردني ويطاردني في كل لحظة ، وأنا جسد محطم داخل الخنادق ، تبدأ لي صورته ، وتوافدوا على سطح عقلي المرهق ، حياة كاملة تتجسد ، رائحة الحطب ، صوت جزع شجرة تتكسر لتوضع في المدفأة ، شرائح الخبز الساخنة والزبدة الطازجة ، ورغم كل ذلك كنت قادراً على الصمود حتى جاءني صوت صغير يدوي في أذني : بافيل ايفانوفيتش فأقاومه ولكن يعود فيهمس مطارداً : بافيل ايفانوفيتش عُد إلى وطنك ، كان هناك شيء ما مني يضحك على ولائي الكاذب الذي يدعو إلى السخرية ، فالموت لايعرف أعلام الوطن الخفاقة ولا الرايات المنتصبة ، ليس هناك إلا القبر ،

ولا شيء يكون خلف رخامته البارد . كان الصوت لازال يصرخ في أذني : بافيل ايفانوفيتش عُد إلى بيتك الحذاء الصوفي ينتظرك هيا عد ... عد وتسمع من بعيد صوت الموسيقى النحاسية والأغنيات الوطنية

أخبريني يا أمي بحق العذراء : هل أخطأ بافيل عندما استجاب لهذا النداء المشؤوم ؟ هل أخطأ بافيل عندما سقط أمام الاغراء ؟ كان الظرف قاسياً فوق طاقة البشر ، جوع وبرد وجنون ، لم أكن أحتاج إلا لليلة واحدة بجوار المدفأة أضع فيها أقدامي المتصلبة في حذائي الصوفي وبعدها أكون مستعداً لأن أقدم حياتي فداء

للوطن ، ولكننى عندما أفقت بعد الليلة الأولى أخبرتنى زوجتى أن شهرا كاملا قد مر ، لم يكن هناك فرق ، اليوم مثل الأسبوع مثل الشهر ، هى مجرد أرقام فى الجيش ، تقود إلى نتيجة واحدة ، رصاصة ساخنة فى الرأس وتدخل براسكوفيا إلى الزريبة ؛ وهى فى غاية السعادة والرضا .
ترتدى فستاناً أسود ، وتحمل فى يدها علبة سوداء فاخرة وعليها أحمر .

براسكوفيا : أبشر يا باشا ، أبشر ، كل شىء على ما يرام ، هل تريد أن تعرف كل شىء ؟
وبفيل ينظر إليها صامتاً فتقدم له صندوقا من القطيفة السوداء، هذه أول مفاجأة لقد منحوك وسام التضحية من الدرجة الأولى
وتخرج الوسام وتقرأ ما عليه، بفيل ايفانوفيتش نالوروتسكى بطل الشعب ، . يجب أن تفخر بك أمك يا بفيل ، فقد نقش اسمك على النصب التذكارى كما قال الرفيق تشومسكى فى خطابه ، فقد فعلت الصواب ببقائك هنا وإلا واجهت لحظات مرة لو أنك خرجت من هنا وخاصة بعد ما قاله الرفيق تشومسكى عنك !! فى خطابه التاريخى الذى استهله بقوله : أبناء ثورتنا المجيدة ،

علينا أن نأخذ درساً فى التضحية من هؤلاء الرفقاء الشهداء ، الذين نقشت أسماؤهم بحروف من ذهب لتقرأها الأجيال القادمة فإذا كان هذا العالم الذى نعيش فيه آمناً فذلك بفضل هؤلاء الأبطال .
الشهداء وعلى رأسهم الرفيق الشهيد بفيل ايفانوفيتش الذى ضحى بحياته من أجلنا من أجل هذا التراب ، فعلينا الآن أن نقف جميعا لنشكره ونعترف بجميلة هو ومن مثله من الشهداء الأبرار ، الأبطال الشجعان الذين قاوموا الفاشيست الدمويين ، إن أبناءنا وأبناءهم وأبناء أبنائهم سيعيشون فى عالم يتسع لهم جميعا بفضل بفيل ايفانوفيتش والرجال الخمسين أبناء قريتنا ، الذين فاضت أرواحهم فى سارانتس وهم يدافعون عن ثورتنا المجيدة فى شتاء ١٩٤٣ ، بفيل ايفانوفيتش لا أجد فى نهاية خطابى الكلمات المناسبة رغم أنك ترقد فى مكان ما فى مقبرة غير معروفة إلا أن ذلك لا يقلل من شأنك لأن ذكراك العطرة قد حفرت للأبد فى قلوب الناس وبراسكوفيا تخرج الوسام من العلبة القطيفة السوداء وتعلقه فى صدر بفيل» هذا بعض ماحدث يا بفيل ، ولا استطيع أن أصف لك ما فعله الرفقاء ، فقد بكوا جميعاً من أجلك ، كان منظراً لاينسى ، فبعدما استلمت الوسام ، وعدت إلى الصفوف ، وضعت باقة من الزهور على النصب التذكارى ، كان شيئاً مروعا .
لقد تمنيت ساعتها أن أدفن خجلى فى هذا القبر وخاصة عندما قلت : إلى حبيبنا بفيل ايفانوفيتش وما أن نطقت بهذه العبارة حتى دفن العجوز «سمتالوف» رأسه الأصلع بين أكمامه وانخرط فى بكاء مرير ، ليس وحده ولكن الجميع كان يبكى-تماما .

جيلينا ، انستازيا ، . . كلهم يا بفيل كانوا يبكون عليك ويشكرونك (بفيل يعطيها ظهره) صدقنى إننى لا أبالغ فى وصف المشهد ، وقد حمدت الله كثيرا أنك لم تخرج فهناك الكثير من الناس كان سيحبطهم جدا ظهورك المفاجىء ، كنت سنقطع لحظة حزن عميق (وقفة) هل تريد أن تعرف أغرب شىء يا بفيل ، لقد جاءت علىَّ لحظات من شدة الحزن تصورت فيها أنك مت !! نعم مت وحيدا بعيدا عن وطنك ، لهذا فقد بدأت أبكى مثلهم ، وأعيش اللحظة وخاصة فى أعقاب الخطاب الرائع للسكرتير الأول الرفيق تشومسكى ، لقد صدقت أنك مت (تمسح الدموع التى طفرت فى عينيها) أنظر إننى من الممكن أن أبكى مرة أخرى .

بفيل : هل انتهيت من وصف المشهد ؟

براسكوفيا : ليس هذا كل شىء ، ولكننى لا أحب مضايقتك ، هناك شىء لو لم أحكه لك سيظل يؤرق ضميرى .

بفيل : ما هو ؟

براسكوفيا : عندما انتهى الاحتفال أصر العجوز «سميتالوف» أن يصطحبنى فى طريق العودة إلى المنزل ، وفى الطريق طلبنى للزواج أو هذا ما اعتقد على الأقل .
أنا لا أفهم أفصحى ؟

بفيل

براسكوفيا : لقد قال لى : سيكون منظراً رائعاً أن نضع خنازيرك وأبقارى تحت سقف واحد ، ثم أكمل : سيكون هذا الأمر نهاية سعيدة لأحزان الأرملة نالوروتسكى ، لم استطع يا بفيل أن أتخلص منه ، وسوف يأتى الأسبوع القادم ليسمع ردى فى هذا الموضوع (ترسم علامة الصليب) ليشملنا الله برحمته أشعر أن الله سيحرق قلبى فى جهنم جزاء ما فعلناه اليوم .
ولكن نار جهنم أهون من نار الرفقاء إذا علموا أننا كنا نخدعهم ، لقد كذبنا عليهم يا بفيل لقد كذبنا على الرفيق السكرتير الأول على الملأ ،

وسخرنا منهم ، ومن حماقتهم فى ذكرى يوم النصر ، ولن يغفروا هذا الأمر ولن يسامحوا .

بفيل : أنا لا أصدق ، هل سأظل هنا مثل هذه الخنازير ليس أمامى إلا الأكل والنوم والإحباط والإحساس بالذنب الذى لايتضاءل بمرور الزمن ولكنه يزداد يوماً بعد يوم كأنه يتغذى على عذابى والامى ؟ هل سأظل هنا مثل عش الغراب الذى يتفتح وينضج وسط الروث ؟ هل ينتهى الأمر إلى يا براسكوفيا ؟ هل مستقبل حياتى هو زريبة الخنازير ؟ أو مكان مع الخنازير ؟

براسكوفيا : لا استطيع أن أجيبك يا بفيل ، لا استطيع فأنت كمن يسأل عن منطق الآلهة وهى توزع الأقدار على البشر !!!!!!!

بفيل : ألا تعنى عشر سنوات من بؤس وألم فى حياة إنسان شيئاً بالنسبة لموازين العدل ؟

براسكوفيا : ولا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال ، إنها أشياء أكبر من عقل امرأة مثلى (وقفه) والآن سأتركك لتسأل نفسك هذه الأسئلة التى لا قبل لى بها (تنهض لتخرج) .

بفيل : إلى أين ؟

براسكوفيا : سأغير ملابسى وأعود للعمل ، الاحتفال قد انتهى ، وهناك الكثير الذى ينتظرنى

بفيل : (ينظر إليها غير مصدق) بهذه السهولة ؟

براسكوفيا : أية سهولة ؟

بفيل : التى تذهبين بها بعيداً وتتركيننى هنا ، بهذه السهولة ؟

براسكوفيا : الحياة تسير يا بفيل لن تتوقف

بفيل : حياة مَنْ ؟

براسكوفيا : حياة كل الناس على ما أعتقد

بفيل : وحياتى أنا أيضاً ؟

براسكوفيا : إنى أصلى لك حتى تسير حياتك أيضاً .

بفيل : «بسخرية» أشكرك على هذه المعلومات يا براسكوفيا ، فهذا يعنى أن حياتى ستسير ، كم هذا مدهش ، كم هذا مدهش ، ولكنى أفكر فى كم التحديات الممكنة الملقاة على عاتقى هنا ، الحقيقة أن الخنازير ستكون شغل الشاغل ، أليس كذلك ؟ «يفرك فى عصبية ملحوظة»

ولكن ماذا أفعل بها ؟ هل أكون قسيسا لها ؟ إنى جاد ، ربما تملك هذه الخنازير طاقة روحية طيبة تختفى داخل جبال الشحم الجاسمة على ظهورها !! لا بأس سأكون قسيسا طيباً يخرج هذه الطاقة منها ، ساعطيهم أولا أسماء مسيحية ثم أقرأ عليهم من الإنجيل حتى أصبح «بفيل قديس الخنازير» يبدو أنك لا ترحبين بهذه الفكرة ، لا بأس دعينا منها ما رأيك أن أعلمها السياسة فهذه الزريبة فى حد ذاتها حالة سياسية فربما نجد فى هذه المخلوقات الخرساء امتيازات تجعلها أحسن طبقة بروليتارية فى العالم ، إنى أستطيع جمع شملها لتصبح عناصر هدامة يحكمها صراع طبقى يجعلها تتمرد وتثور تذكرى بعد ذلك وأنت تقودين أحد الخنازير إلى الجزار أنك تمسكين فى يدك ثائرا صغيرا ترى هل أكون بذلك قد غطيت كل التحديات الممكنة ؟ أرجوك يا براسكوفيا قولى شيئا قبل أن تذهبى لتقشرى البطاطس ؟ قولى شيئا قبل أن تذهبى لتقلمى الأزهار ؟

براسكوفيا : لقد قشرت البطاطس هذا الصباح وقلمت الأزهار بالأمس ، أما إذا كنت تريد الحقيقة فإن ورائى كومة من الملابس القذرة التى تنتظرنى ، فهذا يوم الغسيل ، لذا فعلى أن أذهب الآن

بفيل : بهذه البساطة !؟

براسكوفيا : نعم بهذه البساطة .

«براسكوفيا تخرج ويجلس بفيل وحيداً بينها الخنازير تتزاحم حوله» .

(إظـــــلام)

المشهد الثانى : الجمال والوحشية :

المكان الزريبة ، مر وقت طويل ، صوت مجموعة من الخنازير ، فى حالة من اللامبالاة يهش الذباب ، ينظر حوله فى ريبة ، ثم يمسك بأشلاء حذائه الصوفى ، ويضع «فردة» منه فى قدمه ، عينه تقع على ذباب ميت على المنضدة فيمد يده إليه ويبدأ العد ، يذهب للحائط إلى حيث الأرقام التى يخطها على الحائط ، فيجد أن أعداداً كبيرة من الذباب الميت خطت النتيجة الخاصة به ، يكتب على الحائط رقم ٩٧٦٢ ثم يضيف عليها ٢٣ لتصبح ٩٧٨٥ بعد لحظات يبدأ فى هرش جسده ، ثم يتوقف ، ويذهب إلى عصاه ليلتقطها ويضرب بها الخنازير ، يتوقف فجأة ويبدو كأنه لايصدق ، . . فراشة ملونة دخلت إلى الزريبة ، يتغير مزاجه سريعا لمجرد رؤيته للفراشة وهى تطير ، يضحك ويبدو مأخوذاً بجمالها ، فهى تذكره بعالم كاد أن ينساه ، عالم تغمره الشمس بضيائها ، والزهور بأريجها الفواح ، عالم يره منذ سنوات جد بعيدة ، ينادى على براسكوفيا ثم يقرر أن يمسك بالفراشة ، يبحث عن حذائه الصوفى ليجعل منه شبكة يمسك بها الفراشة ، ثم يبدأ فى البحث بصوت مرتفع ، يطارد الفراشة محاولاً اصطيادها ، يحاول أن يتسلق جدران الزريبة ولاتزال الفراشة تراوغه ، تعلو ضحكاته ، وتعلو ، ثم يتوقف فجأة .

بفيل : (بدهشة) ما هذا ؟ يمكن أن يكون حقيقة ؟ هل أنت الذى يضحك يا بفيل ايفانوفيتش ؟ (يسأل نفسه محاولاً الاقتناع) نعم أنت الذى يضحك يارفيق بفيل ، إنها حقيقة ، والفراشة حقيقة جميلة أحاول أن أمسك بها (يسترسل فى ضحكاته) براسكوفيا ، إنى أضحك (يمسك بحذائه الصوفى ويبحث عن الفراشة) يجب أن تخرجى من هنا ، أيتها المخلوقة الجميلة الملونة ، هذا المكان لايتسع لجمالك ، أين تختبئين أيتها الصديقة الصغيرة الملونة ؟ إيه أين أنتِ ؟ أرجوك . . . . . (يبحث عنها) . . . يا إلهى لاتموتى هنا ، دعينى أعيدك إلى عالمك الجميل ، إلى الزهور ونسائم الصيف ، . . . إنى أتوسل إليك أن تحملى معك قبضة من روحى أو همسة من قلبى إلى ضوء الشمس ، (يبحث عنها) فلتكون خلاصى أيتها الجميلة الملونة ، فلتكون خلاصى ، هه ! (تقع عينه عليها وهى واقفة فوق خنزير فيتجمد فى مكانه ثم يقترب منها بحرص محاولا أن يمسكها ، يتوقف فجأة وعيناه تمتلآن بالرعب ، وهو يتوقع كارثة ، لا ، لا ، أرجوك ، لاتفعل (الخنزير يلتهم الفراشة ، يتجمد فى مكانه ، ثم يعود بخطى متثاقلة ، فجأة يصرخ) قاتل ، قاتل (يخرج سكينا ثم يقفز على أحد الخنازير وبعد مقاومة يقتله ، ضوضاء شديدة وقد خيمت على المكان رائحة الموت ، تدخل براسكوفيافتجد أمامها الدم ينهمر وبفيل ينخرط فى بكاء مرير) .

براسكوفيا : بفيل . . . بفيل

بفيل : الكل باطل ، الكل باطل وقبض ريح .

براسكوفيا : (تنظر إليه) ياه . . ، يا إلهى ! ما الذى حدث ؟ هل حاولت أن تقتل نفسك ؟ (تفحصه بلهفة وهو مايزال يبكى)

بفيل : لا . . . . لا .

براسكوفيا : أليس هذا دماً ؟

بفيل : نعم ، إنها روحى يا براسكوفيا ، روحى تنزف .

براسكوفيا : ولكن هناك شيئا آخر ينزف (تتابع بعينيها خيط الدم على الأرض، حتى تصل إلى الخنزير المقتول) ما هذا ؟ ! انظر ؟ هل أنت الذى قتلته ؟ (تبدو غير مصدقة) أنت ؟ ! (تحضر دلواً به بعض الماء وقطعة قماش وتساعد بفيل فى تنظيف ملابسه من الدم) ما الذى حدث ؟ احكِ لى ماذا حدث واهداً ؟

بفيل : (لا يستجمع ذاته) فراشة يا براسكوفيا ، فراشة سعيدة جميلة مسالمة لا تحمل ضغينة لأحد ، لها أجنحه ملونه ، هل تذكرين الفراشات الملونة التى كنا نرقبها ونحن أطفال ، وهى تطير فى حقول الذرة وبين الزهور ، هل تذكرين تلك الفراشات ؟

براسكوفيا : (بدهشة) نعم أذكرها .

بفيل : جميل ، أن تتذكرى شيئاً جميلاً ، واحدة من هذه الفراشات دخلت إلى هنا بطريقة ما وأخذت تطير ، . تطير هنا وهناك ، فقلت لنفسى : سأحاول أن أمسكها وأخرجها من الزريبة فهذا ليس مكانا ينبغى لفراشة أن تطير فيه ، حاولت أن أمسك بها ، ظللت أطاردها ، وعندما أوشكتُ أن أمسك بها ، أحسست أن شيئا

بداخلى قد ماتت منذ زمن بعيد ولكنه فى هذه اللحظة يعود إلى الحياة ، أحاسيس غريبة تطفو على سطح ذاكرتى لتضحكنى ، لقد كنت أضحك من قلبى هل تصدقين يا براسكوفيا ؟ إننى ضحكت ، ... لقد ضحكت فى هذا المكان !!

براسكوفيا : تمنيت أن أكون هنا لأشاركك ضحكك

بقيل : لقد ناديت عليك كثيراً .

براسكوفيا : نعم لقد سمعت ضحكاتك ، كانت رائعة ولكن ماذا ستفعل بالخنزير المقتول ؟

بقيل : لا تقاطعينى أيتها المرأة .

براسكوفيا : (بألم شديد) إنى أعتذر

بقيل : الفراشة الصغيرة ....

براسكوفيا : نعم !!!

بقيل : كنت أطاردها وأضحك ، كنت أتلصص عليها كما لو كنت طفلاً صغيراً ، لقد ذكرتنى بالحقول والمروج التى كنت أمرح فيها والعب بين الزهور والطيور الشادية ، كان كل شىء حولى حاضراً ، السماء الزرقاء ونسمات الريف الجميلة التى تدور بالرأس ....

براسكوفيا : هذا شىء جميل يابقيل

بقيل : نعم ، ليس هناك أجمل من فراشة ملونة وطفل صغير ، الجمال والبراءة (وقفة)
انظرى أين انتهى بى الأمر .... فى زريبة خنازير !!

براسكوفيا : (وقد فهمت مشاعره أخيرا) مسكين يا بقيل ، .. أنت مسكين يا عزيزى .

بقيل : (يومىء رأسه بالنفى) الجمال والبراءة اجتمعا مع الوحشية (يفصل مرة أخرى)
كان شيئا مروعاً ، لقد رأيتها تقف على رأسه ولكن لم يكن بيدى شىء ، لم أستطع أن أنقذها ، فقد صوب الخنزير عينيه السوداويين إليها ، وهز أنفه ، وقبل أن أمد يدى إلى الفارشة سبقنى ففتح فمه الكريه والتهمها (يبكى) .

براسكوفيا : لا تحرق قلبك عليها يا بقيل ، فقد حاولت جهدك ، وسيجازيك الله خيراً عن محاولتك .

بقيل : لن يفعل الله شيئا من هذا القبيل ، الله لا يعلم شيئا عن هذا المكان !!

براسكوفيا : (كمن لا تصدق ما سمعت) بقيل ماذا تقول ؟

بقيل : وإذا علم فلن يفعل شيئا

براسكوفيا : بقيل ايفانوفيتش ماذا تقول ؟

بقيل : أقول إن الله ليس له سلطة على هذا المكان ، هل تعرفين لماذا ؟ لأن هذا المكان هو جهنم بعينها ! نعم إننى أعرف أين أعيش ، هذه جهنم !! أو مملكة المغضوب عليهم .
هذا جزء من عقابى يا براسكوفيا أن أرى الوحشية تلتهم الجمال ، ثم «طز» ....
«طز» ... «طز» ... هذا جزءٌ من عقابى أن أرى الخنازير تأكل البراءة ثم تتبرزها ، لقد وصلت إلى النهاية يا براسكوفيا ، وربما كانت ضحكاتى تعنى أن الموت سيخطف روحى

براسكوفيا : توقف يا بقيل ، أعلم أنك حزينٌ جدا ، ولكن لا تبالغ فى حزنك ، فلا يمكن لإنسان أن يكون فى مكانين فى وقت واحد أبداً !

بقيل : ماذا تعنين بكلماتك ؟

براسكوفيا : أقصد إنه لايمكن أن تكون حياً وفى جهنم فى آن واحد .

بقيل : ولمَ لا ؟

براسكوفيا : لأنك لو سألت طفلاً صغيراً فسيعرف أن جهنم المكان الذى يذهب إليه الناس بعد الموت

بقيل : (بشىء من المرارة) لقد وصلنا الآن إلى مفترق الطرق .

براسكوفيا : لقد ظننت أنك تريد الحقيقة يا بقيل .

بقيل : شىء جميل ، أنا أريد الحقيقة ! لأن ما تسمينه الحقيقة هو نستطيعُ لحقائق فلسفية ولأخلاقيات معزوفة ، تستطيع يصل إلى حد التفاهة العائلية .

براسكوفيا : لا بأس ، لكل منا طريقته فى التفكير ، ولكن حتى لو أدى ما سأقوله لغضبك فعليك أن تعلم أننى الأسبوع الماضى اضطررت إلى توسيع بنطلونك لأنك أصبحت سمينا ، والآن تقتل خنزيراً كبيراً بيديك وهذا يساوى عندى موت رجل .

بقيل : أنا لا أتكلم على مستوى المادة ولكننى أعنى الروح الداخلية ، هل تسمعين هذا ؟ كنت أتكلم عن روحى .

براسكوفيا : آه لقد فهمت .

بقيل : أنت لم تفهمى شيئاً . ولا ترين شيئاً ، فالقيمة المأساوية لما يحدث هنا أمر خارج عالمك (يذهب للحائط حيث الأرقام التى يعدها بالذباب الميت) انظرى ، انظرى إلى ما وصلت إليه ، انظرى إلى وإلى ما انتهيت إليه حياتى ، تسعة الاف وسبعمائة وخمسة وثمانون ذبابة ميتة ، إن الحياة لا توهب إلا مرة واحدة على هذه الأرض ، وهى تمضى من حولى بينما أجلس فى ملل إلى هذه المائدة وأهش الذباب ، حتى عندما يصل الضجر إلى منتهاه فما الذى أفعله كى أرفع روحى المعنوية ؟ أضرب هذه الخنازير وأحقد عليها لأن حياتها تفوق قيمة حياتى ، هذه هى الحقيقة ! فهى على الأقل لها غرضٌ محددٌ ، قد يكون حقيراً نعم ولكن اللحم والمورتاديللا والسلامى يجعل لوجودها معنى أكثر قيمة من معنى حياتى ، إننى أقول الحقيقة يا براسكوفيا ولا أضلل نفسى ، فهل أنا الآن ذلك الرجل الذى تزوجته ؟ بالتأكيد لم أعد هذا الرجل ، لم أعد مادياً جاداً فى عملى بل صرت رجلاً خرباً خاصمت الأحلام قلبه ، تذكرى الليلة الأخيرة قبل أن يسوقونى إلى الحرب عندما كنا نستلقى فى فراشنا ونتحدث عن مستقبلنا ، هل تذكرين الأمانى التى كنا ندخرها لأسرتنا الصغيرة ؟ زريبة كبيرة تتسع لعدد كبير من الخنازير ؟ هكذا كنت ، والآن انحصرت سعادتى فى أن أدهس الذباب على حافة المائدة ، أى طموح هذا ؟ الذى يدور حول الذباب الممزق ؟ (يجول ببصره فى أنحاء الزريبة) وكل خوفى أن أفقد عقلى (بابتسامة باهتة) وربما كان هذا الأمر هو النهاية السعيدة مقارنة بالأيام المقبلة التى تنتظرنى ، أقصد العقاب الذى ينتظرنى يا براسكوفيا ، العقاب الذى سيفقدنى روحى ، وسأصبح أقل شأنا من الحيوان الذى قتلته ، ترى هل ستعترض الفراشات الجميلة طريقى مرة أخرى (يتخيل الذباب كما لو كان فراشات جميلة . وقفة) انظرى سأستخدم حذائى الصوفى فى صيدها فى المرة القادمة (يمسك أشلاء حذائه الصوفى) هل تعرفين هذا الشىء ؟ هل يمكنك اكتشاف أى أثر لجمال زائل غطته القذارة ؟ إنه حذائى الصوفى الذى صنعته لى أمى ! أعظم شىء أحببته فى حياتى ، انظرى إليه الآن (يلقى

به على الأرض) لقد آن الأوان لان يصبح شيئا نافعاً له قيمة وإلا تحول لشيء قذر ، فالحياة دون قيمة أو دون شيء مقدس وجودٌ بلا روح حياة حقيرة (براسكوليا لا تعرف ماذا تفعل ، تهز رأسها في صمت قبل أن تبدأ حديثها)

براسكوليا : (بخوف) بقيل أنا لا أقصد مقاطعتك ، ولكن هل يمكن أن أسألك سؤالا ؟
(بقيل لا يحرك ساكناً)
منذ لحظات تكلمنا عن كل مايخص حياتك ووجودك هنا وما أريد . . . .
أنا لا أقصد مقاطعتك . . . . .
ولكن وقت العشاء قد حان فهل أحضره لك ؟ !!
(بقيل لا يرد)
لقد طهوت لك شوربة القرنبيط وبعض الفطائر
(لا يرد)
بقيل ؟ . . . بقيل ؟

بقيل : (بعنف) لقد سمعتك .
(وقفة)

براسكوليا : عظيم .

بقيل : (بصعوبة شديدة) هل وضعت بعض زهور الينسون في الفطائر ؟

براسكوليا : نعم .

بقيل : إذن فالعشاء شوربة قرنبيط وفطائر ، أليس كذلك ؟ . .

(إظـــــلام)

● المشهد الثالث : «نزهة في منتصف الليل»

«الزريبة ، مر وقت طويل ، الحوائط مكسوة بطبقة من الطين والقذارة من جراء حركة الخنازير .
داخل الزريبة ، الخنازير هادئة ، الوقت ليل ، بقايا شمعة على المائدة بقيل في سريره المتهالك يستند على وسادة ، يبدو كرجل مريض جدا يخرج آهات يائسة ، براسكوليا مهتمة بأشيائها الخاصة : الفستان ، والشال ، والقبعة ، والحذاء . . . الخ» .

بقيل : ألم يحن الوقت بعد ؟

براسكوليا : انتظر قليلا .

بقيل : لقد قلت هذا منذ ساعة مضت .

براسكوليا : لازال هناك بصيصٌ من ضوء الشارع ، لن يكون الشارع مأموناً طالما أن أهل القرية خارج منازلهم ، تحلّ بالصبر .

بقيل : تحلّ بالصبر ! إنني أكاد أختنق وهى تتحدث عن الصبر .

براسكوليا : هل أهوّى لك ؟

بقيل : لا فائدة من الهواء في هذه الزريبة ، رائحة القذارة والهواء المسمم ، أحتاج لهواء نقي ، هواء نقي .

براسكوليا : ستنسم هواءً نقياً ولكن عليك أن تنتظر بضع دقائق ، لن يمر وقت طويل حتى يأوى أهل القرية لفراشهم وبعدها يمكن أن نأخذ فرصتنا (ترسم علامة الصليب بينما ينهض بقيل من سريره مرتديا فستاناً أسود) سيساعدنا الله فأنا لا أخفى عليك أنني أشعر بقليل من العصبية والقلق ، إن لك أفكاراً جريئة ولولا حالتك ما كنت وافقت على الإطلاق على أنني أقول لك ذلك لأذكرك بوعدك : لا مناقشات في الشارع ، السير في الطريق مسئوليتي لأنك نسيت الشوارع ، نزهتنا ستكون حتى حافة الغابة ثم نعود أدراجنا فوراً ، ولو كان الطريق آمنا وخاليا من الناس فقد نفكر في جولة أخرى في طريق العودة أعتقد أنك توافق على ذلك (تلمح بقيل يبكي) ماذا هناك يابقيل إنك تقضي نصف وقتك في دموع وبكاء ، ماذا حدث لك ؟

بقيل : ضعي يدك على قلبي (تضع يدها على قلبه)

براسكوليا : يا إلهي ، لم كل هذا يا بقيل ؟

بقيل : خائف بل مذعور .

براسكوليا : ولماذا ؟ يمكننا أن نتخلى عن هذه الفكرة الطائشة .

بقيل : لا ، لا ، لا ، إنني لا أخاف من هذا الأمر فحسب ولكنني أخاف من كل شيء ، طيلة واحد وخمسين عاما هو عمري ـــ وأنا رجل خائف ، . . لقد أرهقني خوفي ، أرهقني يا براسكوليا ، أرهقني .

براسكوليا : لا ترهق نفسك بتلك الأفكار المريضة ، حاول أن تنظر إلى الجانب المشرق ، هناك جانب مشرق في كل شيء .

بقيل : دعيني أتكلم ، ربما أجد راحتي في الكلام ، فهناك أشياء حبيسة في صدري ، حقائق لم أعترف بها وهي تثير اشمئزازي مثل هواء هذه الزريبة .

براسكوليا : لا بأس يا بقيل ، تكلم فكلي آذان صاغية .

بقيل : (يجمد في مكانه) أنا جبان يا براسكوليا ! إنني لا أنكر ذلك ، بقيل ايلاتوفيتش نالوتسكي رجل جبان ، فبينما يحرك الرجال الشجاعة والطموح يحركني الخوف ، في الليلة الماضية حينما شعرت أن نهايتي قريبة ، حاولت أن أتذكر طفولتي ، حاولت أن أسترجع في خيالي الأيام الخوالي ، أيام السعادة والبراءة ، هل تعرفين ما الذي طفا على سطح ذاكرتي ؟ بقيل الصغير الخائف الذي يختبيء دائما من المشاكل ! والذي يختبيء دائما من كل شيء من المشاجرات ، ومن غضب أبي الذي كان يخلع حزامه ويمسك به في يده . . . . فكنت أختبيء تحت السرير ، أو في الدولاب ، أو تحت السلم ، وأحيانا في المخزن ، أو في الحديقة ، كان لدي كراسة خاصة أدون فيها الأماكن التي يمكن الاختباء فيها دون أن يعرفها أحد ، أعتقد أنني دونت أكثر من مائة مكان . لا . لا لم يزيدوا عن سبعة وستين ، وليت الأمر انتهى مع طفولتي ، فعندما كبرت وصرت جنديا محاربا استعدت موهبتي من جديد ، لقد أصبحت قادرا على الاختباء حتى وأنا وسط الناس ، حتى في يوم زفافنا كنت قادرا على ذلك ، أنت لم تتزوجي بقيل ، ولكنك تزوجت بدله زفافنا السوداء ، لأنني كنت مختبأ فيها طوال الوقت ، دعك من هذا ، هل تذكرين ذلك الجندي الذي لوح لك بيده مودعاً قبل أن يُساق إلى الحرب ؟ كان الشيء الوحيد الشجاع فيه هو العسكرية ، نعم بزتي العسكرية التي كنت أختبيء بداخلها ،

كانت شجاعتي هي تلك الأزرار النحاسية اللامعة التي تزين بزتي العسكرية ، انظري ما الذي انتهى إليه الأمر ؟ في زريبة خنازير ؟ ! وخمني ما الذي يفعله بقيل نالوتسكي في هذه الزريبة ؟ لاشيء سيدون في كراسته ، إنما المخبوء الثامن والستون !!
(ينهار فيسقط إلى الخلف على وسادته)

براسكوليا : الآن أخرجت كل ما اعتمل في

صدرك فهل استرحت ؟

بلفيل : لا ، لازلت أشعر بما هو أقسى ، لو لم أستنشق هواءً نقياً خلال الدقائق القادمة فسيكون القبر هو المخبأ القادم

براسكوفيا : لن يحدث هذا ، سأستطلع ثم أعود إليك .

(براسكوفيا تخرج ثم تعود بعد ثوان)

الآن قد حانت الفرصة فقد خفتت الأضواء .

(بلفيل يستند على براسكوفيا ويحاول أن ينصب قامته ، تبدو كأنها مسألة في غاية الصعوبة لأنه يعاني من الضعف والخوار ، ولكنه مع ذلك يحاول أن يساعد نفسه للاستناد على المائدة)

بلفيل : أريد مرآة

براسكوفيا : نعم .

بلفيل : أقول لك : مرآة . . . مرآة

(براسكوفيا تبحث عن مرآة ثم تضعها أمامه فيقف أمامها ثم يلمح بقعة على صدره فينظفها بأظافره) ألا يوجد لديك بروش أو شيء من هذا القبيل .

(براسكوفيا تخرج ، بلفيل يعدل من هندامه حتى تعود براسكوفيا ومعها صندوق صغير تحتفظ فيه باكسسوارها ، بلفيل يفتش بدقة في محتويات الصندوق ، ثم يختار بروش ترشقه له براسكوفيا في ملابسه)

براسكوفيا : جميل جدا

بلفيل : ألا يبدو واسعاً من الوسط (يشد فستانه)

براسكوفيا : حقيقة لا . . . بل لن أكون مجاملة لو قلت لك إن هذا الفستان يبدو جميلاً عليك أكثر مني .

بلفيل : حقا ؟

براسكوفيا : نعم ، لولا شعيرات ذقنك النابتة لصدقت أنك زوجة أو أم من عائلة كبيرة ، ولكن دع وجهك مغطى ولا تقل شيئاً حتى لو قابلنا بعض الناس فسأقوم أنا بالحديث إليهم وسأعرفهم بك باعتبارك ابنة عمي ودنياشاه التي تعيش في دباكتسكك، والتي تعاني من الصمم ولهذا فهي لاتسمع أي شيء ، والآن هل أنت مستعد ؟

(ترسم علامة الصليب) صل من أجل نزهة مختلسة لسيدتين لاحول لهما ولا قوة (يخرجان ويمشيان في الظلام وقد اصطدمت حواس بلفيل بكل شيء : النسيم العليل ، ورائحة الجو النظيف ، والنجوم في السماء ، وأصوات صراصير الأرض ، ونباح الكلاب من بعيد ، وأشياء كثيرة لا يملك أن يدركها كلها في وقت واحد ، وبعد قليل من استنشاق نسيم الحرية ، بلفيل يشعر بالدوار فيترنح وبراسكوفيا تسنده) .

يامريم العذراء ، ما الذى يحدث يا بلفيل ؟ لا أستطيع أن أسندك أرجوك لاتمت في هذا المكان .

بلفيل : الهواء يابراسكوفيا ، الهواء النقي ، . . . إنه يسكرني . . . أرجوك . . . اسنديني . . . . اسنديني . . . سأفقد وعيّ .

براسكوفيا : هذا ينهي كل شيء ، هيا عد إلى الزريبة . هيا يا بلفيل لقد كانت فكرة مجنونة ولا أدرى كيف وافقت عليها .

بلفيل : لا . . . لا . . . لا . . . ستمر هذه الأزمة ، بعد لحظات سأكون بخير

(تخرج من شفتيه صرخة نشوى خافتة جداً)

براسكوفيا : لاترفع صوتك ، أرجوك

بلفيل : النجوم يابراسكوفيا ، انظرى إلى النجوم

براسكوفيا : نعم ، إنني أراها ولكن استعطفك بالله أن تخفض صوتك ، فلو ظل صوتك عالياً فسوف تستفيق البلده كلها حولنا قبل أن نخطو خطوة واحدة .

بلفيل : نعم وصوت الصراصير ، انصتي ، هذا ليس حلماً أليس كذلك ؟

براسكوفيا : ليس حلماً ولكن يعلم الله كم تمنيت أن يكون .

بلفيل : هناك حلم آخر يعذبني ، عندما أستيقظ غداً وأجدني في زريبة الخنازير العفنة ، اقرصيني يابراسكوفيا ، اقرصيني حتى أتأكد من أن كل ما أراه حقيقة وأنى مستيقظ ، وكل الجمال الذى أراه حقيقة تسابق العقل ، أيتها الأرض الجميلة كم أود أن أهب نفسي لك .

(يضم ذراعيه ويحتضن الهواء وهو يترنح وبراسكوفيا تتبعه في ذعر)

براسكوفيا : أنت تذهب إلى الطريق الخطأ ! إلى اليسار يا بلفيل . . . أقصد يا ودنياشاه تحركي إلى اليسار . . . .

(بلفيل ينحرف نحو الميدان الكبير في القرية ولكن براسكوفيا تلحق به تقطعت أنفاسها وهي تحاول الخروج من التجربة بسلام)

استحلفك بابنك أن تتوقف يا بلفيل ! ما الذى حدث لك ؟ هل تريد أن تفضح أمرنا ؟ لقد اتفقنا على أن نبدو مثل سيدتين في غاية العقل والرزانة ، تخرجان في نزهة قصيرة لاستنشاق بعض الهواء النقي قبل النوم ، ولكنك تشق ظلام الليل بسرعة كأنك مطارد ، تعرف ، نحن محظوظان لأن أحداً لم يكن موجوداً في هذا المكان ، كان من الممكن أن تنكشف حقيقتنا (تنظر حولها) على كل حال لقد وصلنا ، دعنا نجلس قليلاً ونستمتع بالهواء النقي ، ثم نعود كما أتينا ، أتوسل إليك من أجل قدميّ العليلتين ألا تسرع الخطى مرة أخرى .

(بلفيل يستنشق الهواء كما يفعل الكلب الجائع)

نعم ، زهور برية ، ستموت بعد ساعات والناس يصلّون من أجلها في كل مكان دون جدوى .

بلفيل : (لايزال مبهوراً بالحرية) هذا حرام

براسكوفيا : ما الذى تفعله الآن ؟

بلفيل : هذه النجوم المرصعة والزهور المعطرة شيء رائع ! شيء لايمكن التعبير عنه يا براسكوفيا لقد أصبحت طريداً بفعل خطيئتي تماما مثل آدم الذى طردته خطيئته من جنات عدن ، ولكنني أحاول أن أتسلل إلى الماضي لأكون الملاك الحارس الذى يذوق طعم الجنة لآخر مرة .

براسكوفيا : لاتقلق ، فالعناية الالهية قد رأت أن تغض البصر عن فعلتنا المتهورة وأن تعطينا فرصة أخيرة ، وأحمد الله أن هذه الفعلة كانت مرةً واحدةً ولن تصبح عادة ليلية . . . أفهمتَ ذلك .

بافيل : لقد فكرت فى عقاب العناية الإلهية وأنا فى الزريبة ، وقد توالدت لدى قناعة أنى أعانى نوعاً من الانحطاط الخلقى ، هو المسئول عن قذف روحى إلى بحر من روث الخنازير ، وقد كان على أن اسبح فى هذا العفن لفترة الله وحده يعلم متى تنتهى ، ورغم كل هذا فلازالت امالك روحاً .

براسكوفيا : تأدب فى كلامك يا بافيل فلا يصح لسيدة مهذبة أن تتحادث بهذا الشكل .

بافيل : نعم بالتأكيد . . . إننى اشعر بهذا . . . اشعر به جداً

براسكوفيا : لابأس ، إنى أصدقك ، اعرف انه لازالت لك روح ، ولكن لايجعلها تمرضك كثيراً ، فهذا يضايقنى .

بافيل : إننى لا استطيع أن أقدم العون لنفسى ، هذه النسمات الرقيقة التى تهز وجدانى كما لو كانت إعصاراً ، تحرضنى رغماً عنى ، لا دخل لى فى هذا . هناك رغبة ملحة تدفعنى لذلك .

براسكوفيا : فليساعدنا الله ، فأنا أرى رغباتٍ كثيرةً على وشك أن تهب علينا

بافيل : قوية ومثيرة

براسكوفيا : إلام تدفعك هذه الرغبات ؟

بافيل : إلى الطريق ، ذلك الطريق الذى امامنا يابراسكوفيا ، يناديني ، يحرضنى إنه يغرينى أن افعل .

براسكوفيا : (بحزم) لا . . .

بافيل : بل نعم ، دعينا نمشى .

براسكوفيا : (بحزم أكثر) قلت لا ، . هذا آخر مايمكن أن نصل إليه ، ليس لدينا وقت يابافيل ، خاصة أننا سنبطىء فى طريق عودتنا ولاتنس أن الليل قصير جدا فى الصيف ، فبعد قليل سيهبط نجم الفجر ويظهر ضوء الشروق .

بافيل : لا ، لالا . . . ، لا . . أنت لاتفهمين شيئا ، إننى لا اتكلم بشأن إضافة دقائق بائسة إلى هذه النزهة المختلسة ولكنى اقول فلنمش فى هذا الطريق إلى المستقبل .

براسكوفيا : إلى أين ؟ إن هذا الطريق لايقودنا إلى المستقبل ولكنه يقودنا إلى «بارابينسك» يا بافيل !!

بافيل : ليس لدى اعتراض ، دعينا نذهب إلى «بارابينسك» ثم بعدها إلى المستقبل يا براسكوفيا إلى حياة جديدة

براسكوفيا : اوضح كلامك ماذا تقصد ؟

بافيل : أن نهرب . . . . .

براسكوفيا : تقصد أن ؟ . . . .

بافيل : نعم أقصد مالم تذكريه . . . ، مالم تفكرى فيه ، هو ما اقصده بالضبط ، أن نهرب !! ماذا جرى لك ؟ هل غسلوا مخك إلى الحد الذى تنسين معه مانعنيه هذه الكلمة ؟

براسكوفيا : وماذا بشأن بيتنا ؟ أشيائنا . . . ؟ الخنازير . . . . ؟

بافيل : أديرى ظهرك لهذه الأشياء ، أقصد نتركها . . . نتخلى عنها ، . هيا يا براسكوفيا فلنفعلها الآن . ، . لو عدنا إلى بيتنا فلن تواتينا الجرأة على الهروب .

براسكوفيا : تقصد أن نرحل الآن . . . من مكاننا هنا . . . ؟

بافيل : نعم ، هنا ، والآن !!!

براسكوفيا : كيف وأنت تلبس فستاناً ولا يوجد فى جيوبنا روبل واحد ؟

بافيل : نعيش مثل الغجر

براسكوفيا : أنت لاتعلم شيئا عن الغجر ، انت قد جننت ولا اريد أن اسمع أكثر من هذا ، فلا تزد ،

بافيل : نعم إنه جنون مقدس ما دام يحررنى من رقى ، نعم يا براسكوفيا ، إننى أحب أن أموت على مقعد خشبى على جانب هذا الطريق تحت النجوم والنسيم العليل أكثر من العودة إلى تلك الزريبة التى ستقتلنى فيها رائحة الخنازير .

براسكوفيا : بافيل ، ارجوك أن تهدأ وتسمعنى ، لو سرت فى هذا الطريق فلن تموت على مقعد خشبى تحت النجوم والنسيم والزهور وكل ماتحلم به ولكنك ستموت فى محرقة . عد إلى عقلك يابافيل وفكر قليلا ، أنت لاتستطيع ان تخرج إلى قارعة الطريق فى ضوء النهار ، فالمستقبل الرائع الذى تتحدث عنه سينتهى حالما تصل إلى أقرب قرية ، الشرطة ستعتقلك ، . والآن هيا يا عزيزى ، لقد كبرنا جداً ، دعنا نستدير إلى الخلف بهدوء ، ونعود لبيتنا ، وبعد أن نعود استحلفك بالله أن تنظر فى مرآة ، ستجدنا قد كبرنا جداً على هذه الأفكار العظيمة ، كبرنا حتى أنها لم تعد لنا .

بافيل : بيتنا ؟ لاتنطقى بهذه الكلمة ، فهى لم تعد تعنى لى شيئا ، ولاينتظرنى هناك إلا زنزانة أتقاسمها مع دستة من السجناء الأشرار ، حياة حقيرة لا . . . لا . . . لا أننى ارى البيت بعيداً ولن اعود إليه

براسكوفيا : لا بأس يا بافيل ، لقد بذلت قصارى جهدى . ، لو كان هذا طريقك فاذهب إليه وحدك ، وسر فيه حتى نهايته ، ولكن صدقنى ساصلى لك من كل قلبى عساك أن تحرر على أرض هذا الطريق وتسعد بمستقبل جميل .

بافيل : ماذا تعنين بكلماتك ، ألن تأتى معى ؟

براسكوفيا : لا ، ستسير بمفردك ، أما انا فكفانى ، هنا نهاية رحلتى وساعود .

بافيل : لايمكنك أن تتخلى عنى بهذه البساطة لايمكنك .

براسكوفيا : أنت مَنْ يتخلى عنى عندما تقرر المضى فى طريق الأخطار ، أنت مَنْ يرحل ولست أنا . . . فماذا تنتظر . . ؟ ماذا تنتظر ؟ هيا ارحل .

بافيل : أراكِ متعجلة فى تركى !

براسكوفيا : كلا ، كل ما فى الأمر إننى أريد العودة إلى بيتى قبل شروق الشمس ، وأريد أن ألوح لك بيدى مودعة وأنت تغادر القرية .

بافيل : نعم ، نعم ، . معك حق ، ساذهب . (يعدّل ملابسه) والآن إلى اللقاء يا براسكوفيا . . إلى اللقاء

براسكوفيا : إلى اللقاء يابافيل

(بافيل يخطو بضع خطوات مترددة فى عكس اتجاه براسكوفيا التى تلوح له بيدها ولكنه يتوقف فجأة ويعود إليها)

بافيل : لدى اقتراح ، لو انتظرتِ معى هنا حتى الشروق ساعود معك ، ارجوك يا براسكوفيا هل تعرفين كم من الوقت مر دون أن ارى أشعة الشمس وهى تلد يوما جديدا . . . . .

هل تعرفين كم من الوقت مر دون

أن أرى ظل منطعماً على الأرض . . . هذا ما أريد أن أراه . . . لن تنتظرى كثيراً فالسماء توشك أن تشى بالفجر . . . انظرى لقد صارت رمادية . .

براسكوليا : لن أنتظر حتى لو قلت أشعاراً ، لن أنتظر حتى نجد أنفسنا في مأزق حقيقى ، فعند أن تشرق الشمس ستجد نصف أهل القرية قد استيقظوا ليذهبوا لأعمالهم ، . لا يا بلهيل هذه نهاية رحلتنا وأرجو ألا تظن أنى لم أعد أحبك ، ولكن أعصابى لم تعد تحتمل ، سأذهب الآن وعندما يقبضون عليك يمكنك أن تخبرهم أنى موجودة في بيتى !!

(تتركه وسط الميدان وتسرع في طريقها إلى المنزل حتى تختفى في الظلام)

بلهيل : هل ستتركينى ؟

براسكوليا (يأتى صوتها بعيدا بعض الشيء ومن الظلام) نعم

بلهيل : لن تستطيعى

براسكوليا : بل أستطيع

(بلهيل قدماه لاتحمله . . . يظهر الضوء الأول من النهار فتخونه شجاعته)

بلهيل : براسكوليا . . . براسكوليا (يعود مسرعاً خلفها)

إظــــلام تدريجى

(يضاء المسرح على الزريبة ، براسكوليا تنتظر ، يدخل بلهيل مشعثا ، ويائسا ، لايقوى على التقاط أنفاسه ، يبدو أنه ركض مسافة طويلة)

بلهيل : هل ابتهجت روحك الطاهرة عندما طردت الملائكة آدم من جنات عدن ؟ ها هو ملاك الرب يبدو كوحش ملعون ، أنيابه البيضاء تطل من فمه ، ويمسك في يديه لجاماً ، ها هو يزأر مثل الذئب في الظلام ، لقد نهش قدمى ، لازالت آثار أنيابه فيها ، هل أريها لك لتصدقى (يقف ثم ينظر حوله في دهشة) أنا لا أصدق ، لقد عدت إلى هنا مرة أخرى ؟ هل أنا الذى كنت بالخارج منذ لحظات ؟ حيث العالم يعج بالسماء والنجوم والأشجار والزهور والهواء والشروق والغروب ، هل أنا الذى كنت أمام طريق يقود إلى المستقبل ولكنى بإرادتى عدت إلى هذا المكان راكضا ؟؟ !! نعم لقد عدت إلى هنا راكضا . . . يا إلهى كنت قريبا جدا من الهروب ، لم يكن يعوزنى إلا قدرٌ صغير جدا من الشجاعة . . . هذا كل ما احتاجه ، . (يلتفت إلى براسكوليا) لو أنك أعطيتنى بعضاً منها . . . كلمات قليلة منك كانت كافية جدا لأن أتشجع ، ليس هناك ما تخسرينه ، . . . أو قلت وها هى يدى يا بلهيل . . دعنا نذهب، ولكنك لم تقولى . . . لم تقولى . . . ولماذا تقولين ؟ والنتيجة أننى هنا مره أخرى . . . تدرين لماذا ؟ أقصد لماذا لم تنطقى بتلك الكلمات ؟ أتعرفين لماذا ؟ لأنك أصبحت تؤمنين بأن الزريبة هى المكان الوحيد الذى يجب أن أنتمى إليه . . !! هى وطنى ، ويبق ، نعم ، وهذه ليست زلة لسان منى ، فأنا أعنى ما أقول ، إنك تؤمنين بذلك !

(براسكوليا تحاول أن تقول شيئاً)

والآن إلامَ انتهت ؟ كيف أصبحتُ ؟ مجرد خنزيرك !! نعم أو على الأكثر حلوف مَنَّ الله عليه بنعمة العقل والكلام فأصبح خنزيرك المفضل أوخنزيرك الطيب الذى تخصينه بشوربة القرنبيط والفطائر دون سائر الخنازير ، ألا ترين في وجهى هذه الصورة ؟

(بلهيل يبتعد عن براسكوليا ويدور في أنحاء الزريبة ثم يتهيأ لأن يقرر شيئاً)

ثلاثون عاما وأنا أحاول أن أمسك برجولتى هنا ، ثلاثون عاما وأنا أحاول الدفاع عن كرامتى ، الدفاع ضد أى اعتداء على الجسد أو على الروح أو على العقل !! ثلاثون عاما وأنا صامد ، ولكن كانت خيانتك لإ رادتى هى القشة التى قصمت ظهر البعير ، هذه هى آخر كلمات تسمعينها منى ، لقد تخلصت من إنسانيتى ! من الآن عليك أن تقدمى لى الطعام دوئما حرج كأى خنزير آخر !

(تسقط دموعه على ملابسه ثم يلقى بنفسه على أحد المزاوده مع الخنازير ثم تمر لحظات صامتة ، براسكوليا تتقدم نحو بلهيل حيث يجلس مع الخنازير)

براسكوليا : بلهيل ، أتمنى ألا تكون جادا فيما تقول .

(بلهيل لايرد)

لأنك لو كنت جادا . . . فأنا . . . لا أعرف ماذا أقول لك ، فأنت قد ذهبت بعيداً هذه المرة ، نعم وقد كان شيئاً جارحاً ، دعنى أعرفك أمام الله ، إننى تزوجت رجلاً ، نعم وليس خنزيراً ، طالما ظل الرب فوق عرش هذه السماء وطالما ظللنا في كنفه أتوسل إليك باسم العالم الطاهر ، اخرج من عنك

(بلهيل لايتحرك)

تنبه يابلهيل فإنك تثير غضبى ، إننى أحذرك لآخر مرة ، سأفعل شيئا لن نجنى منه إلا الندم ، أتوسل إليك أن تخرج من عنك .

(براسكوليا تركع وتصلى)

يا إله الرحمة ، إننى أعلم أنه من الخطأ أن أركع لك في زريبة ، ولكننى أفعل ذلك لأننى أبغى منك المساعدة على وجه السرعة والتسامح في هذه اللحظة بالذات دون حياتى كلها ، يا إله الرحمة إننى أوشك أن أرتكب خطيئة ، أن أفعل شيئاً قد حرّمته بلسانك الطاهر في كتابك المقدس ، ، إننى أتضرع إليك وأتوسل أن تعطينى الحكمة والقدرة على تفادى هذه الخطيئة ، إننى أتوسل إليك أن تعطينى القوة لقتل هذا الإغراء الملح خلصنى يا إله الرحمة من خطيئتى . آمين

(براسكوليا تنهض ثم تبحث عن العصا حتى تجدها ، تشمر عن ساعديها ، تخلع حذاءها وترفع فستانها لأعلى حتى فخديها ثم تقفز إلى المزوده حيث يستلقى بلهيل سيؤلمنى هذا الأمر مثلك تماما .

(تنهال على بلهيل بأول ضربة من العصا ، يصرخ من الألم)

هيا أخرج من عنك ، هيا تحرك

(ضربة أخرى بالعصا فيصرخ

بقليل من الألم ، ثم يترك بالمدوده
ويراسكوليا تلاحقه)
إذا كنت تريدنى أن أكف من
ضربك فتوسل إلى أن أتوقف ،
استرحمنى
(ضربة أخرى وصرخة من الألم)
أفضل لك أن تتكلم وإلا ساستمر
دون حرج

بقليل : (لم يعد يحتمل أكثر من هذا)
توقفى ! توقفى ! أرجوك فإنك
تقتلينى !

براسكوليا : لاتقلق ، فلن تقتلك العصا ،
ولكننى أحب أن أسمعك وأنت
تسترحمنى
(ضربة قوية بالعصا فيصرخ)

بقليل : توقفى ، آه ، توقفى أرجوك
يا براسكوليا ! هل جننت ؟

براسكوليا : والآن ، الدور على قدميك
ساضربك عليها

بقليل : لا ، أتركينى من فضلك
(تضربه بكل ما تملك من قوة على
قدميه)
لا ، أرجوك ، أرجوك .
(يسقط على الأرض فيزحف على
بطنه)
أتوسل إليك أن تكفى .

براسكوليا : (تلتقط أنفاسها بصعوبة) لقد
فعلتها !

بقليل : براسكوليا ، ساعدينى ، أرجوك
أن تساعدينى
(براسكوليا تبحث عن دلو ماء ثم
تلقى الماء على بقليل)

براسكوليا : (بقليل ينتفض واقفا) ها أنت تقف
على قدميك مرة أخرى ، وهذا
آخر ما سأفعله ، والآن اعتمد
على نفسك ، فلا مساعدة منى
(تخرج براسكوليا ويظل بقليل
وحيداً يائساً وقد علاه الطين
والوسخ ، صورة بالغة اليأس)

(إظــــــلام)

المشهد الرابع : أوامر من القائد
العام :

(الزريبة ، الوقت ليلا ، بقليل
يرتدى ملابس مهلهلة قذرة ،
ويلف جسده ببطانية قديمة ،
ويجلس وحيدا منعزلا كشبح فى
الظلام ، يبدو أنه منهك خائر
القوى تماماً ، يروح فى نوم

ليبقى مستيقظا ، صوت الخنازير
كالمعتاد)

بقليل : (بلهجة عسكرية آمره) خطوة إلى
اليمين ، خطوة إلى اليسار ، إلى
الأمام سر ، قف ، رءوسكم إلى
أعلى ، هيا . الرءوس إلى أعلى ،
سريعا (يذهب فى غفوة) جندى
بقليل ايفانوفيتش افتح عينيك .
(يفتح عينيه)
افتح عينيك أكثر !
ها هما مفتوحتان يا سيدى
الرفيق .
لا ، بل هما مغلقتان ، أنت تشعر
بالنوم ثانية . (باستكانة ورجاء)
لأننى متعب يا سيدى الرفيق ،
نعم متعب جدا وحق المسيح ،
إلى آخر المدى متعب .
لا ، لا ، لا ، . يا بقليل ، لو
استسلمت للنوم ستكون
نهايتك ، هيا يا بقليل افعل شيئاً .
(كأنه يتحدث إلى شخص آخر)
ساعدنى أرجوك ، ساعدنى ،
ساحكى لك القصة ، بقليل هل
أنت منصت ؟ نعم ياسيدى
الفريق ، ذات يوم كانت هناك
قرية صغيرة بها رجل غبى ، ذات
يوم قرر أن يصبح خنزيرا !! قلت
لك اخرس ، صمتاً ، اخرس .
ألا تريد أن تسمع بقية القصة ،
اسمعها فنهايتها جميلة جدا ، ذات
يوم نهض من نومه فوجد أقدامه
قد صارت حوافر ، وفى اليوم
التالى صار أنفه منخارا
قلت لك أخرس
(ينظر حوله) الحمد لله لازلت
مستيقظا ، هيا إلى العمل هيا ،
أين نحن ؟ آه نحن نواجه حالة
حرجة جدا ، نمت وتطورت هنا
فى هذا المكان ، وذات يوم
ستصبح . ، . ستصبح . .
ستصبح ، . . .
(رأسه يقع على صدره ويذهب فى
نوم عميق لمدة ثوان)
(يصرخ) بقليل ايفانوفيتش
(يفيق من نومه فجأة فى حالة من
الذعر واليأس)
لم أفعل شيئا ! لم أفعل شيئا
(بصوت أجش) ولد شقى ،
شقى ، بقليل الصغير ولد شقى ،
ويجب أن ينال عقابه ، سيخلع

ساضربك ، أعرف أنك تختبىء
تحت السرير فاخرج ، ستنال
علقة ساخنة .

(بتضرع شديد وبصوت طفولى)
أنا أسف ، لن أفعل ذلك مرة
أخرى ، لاتضيع الوقت يابقليل فى
الوعود ، لقد وعدتنى كثيرا ،
ولكنك تعود للشقاوة وترتكب
أخطاء ، أتعرف لماذا ؟ لأنك
فاشل ، فاشل ، . . بل تدعو إلى
الرثاء (وقفة) نعم براسكوليا على
حق ، فكل ماتعلمته هو الشكوى
والبكاء .
(تنتابه بعض الشجاعة) شىء
عظيم . ، . شىء عظيم
جدا . ، . ها أنت فى النهاية
تريد الحقيقة ، الحقيقة وحدها ،
لا بأس . أنت لست إلا جباناً
وهارباً من خدمة الوطن ، وخائنا
لأرضك وشرفك دون ثمن ومن
أجل أى شىء ؟ هل تذكر الشىء
الذى من أجله خنت الوطن
والشعب ؟ زوج من الأحذية
الصوفية (بصوت يمتلىء
بالسخرية) زوج جميل أحمر اللون
من الأحذية الصوفية صنعته لك
أمك (بحنان) صنعته من أجل
بقليل الصغير ليس صحيحا ،
لا تورط والدتك فى هذا الأمر ،
أرجوك قل عنى كيفما شئت ولكن
دع أمى فى حالها .
ماذا تقصد بأن أدعها فى حالها ؟
أليست هى التى قذفت بك إلى
الدنيا ؟ ألا تعد هذه الساقطة
شريكةً فى كل المصائب التى
عانيت منها فى حياتك ؟
توقف أرجوك ، توقف ، توقف
الآن .
(وقفة)
شىء عظيم يا بقليل ، كان شيئاً
قبيحاً ، ولكن هل استراح
القلب ؟ إذن هيا إلى
العمل ، . . هيا ، لانوم حتى
نجد حلاً يخرجنى من هذه
الورطة ، وحتى نصل لهذا الأمر
يجب أن نبحث عن جذور
الموضوع ، جذور المشكلة ، وبينما
نبحث عن جذور المشكلة يجب أن
نجعل عيننا الأخرى مفتوحة على
القشة التى قصمت ظهر البعير
الملعون ، ولكن لماذا قصمت

القشة ظهر البعير ؟ لماذا البعير
وهناك خنازير ملعونة تستحق أن
تسحق ظهورها جميعاً ؟ (يضحك
في وحشية) كراك كراك . طاخ .
دش . برافو . برافو . . لقد
فعلتها يا بقيل لقد فعلتها . . .
بقيل . . . . بقيل . . . .
بقيل . . . .

بقيل . . .
(يخفت صوته وحده ويعود له
ذلك الصوت اليائس) بقيل . . .
بقيل . . . .
نعم
أقول لك توقف الآن ، دع
الخنازير في حالها ، . لقد عاشت
مثلك ، . ثم إذا كنت
لا تستطيع أن تفعل شيئاً فلماذا
لاتطلق سراحها ؟ أقصد لماذا
لا تحررها ؟
(وقفة) بقيل يخرج من حالة
الهذيان التي انتابته)
مَنْ قال ذلك ؟ من أين جاءتني
تلك الفكرة ؟ من عقلي ؟ أم من
قلبي ؟
(يذهب إلى المرآة) أنت الذي
قلت ؟
نعم
قلها مرة أخرى
هذه الحيوانات المسكينة عانت بما
فيه الكفاية من سوء الاستخدام ،
فلماذا لا تُطلق سراحها ؟
الأمر بسيط جدا ؟ الأمر . . .
نعم ، عليك فقط أن تفتح لها
الأبواب ، ثم فك إسارها ،
ودعها تذهب (بقيل يبدو كمن
لايصدق كلماته)
شيء عجيب ، بهذه البساطة ،
بهذا الوضوح ، أطلق سراحها !
دعها تذهب ،
نعم . نعم ، إنها فكرة رائعة ،
بل هي العقل بعينه ، ليس عليك
الا أن تفتح الأبواب لها وتحلها من
على المزاود وتحررها !
(يعود للمرآة)
إذن افعلها يا بقيل . . . افعلها .
الآن ؟
نعم الآن ماذا تنتظر ؟
لا شيء ، أنا لا انتظر شيئاً ،
اقتراح رائع ولكن الأمر ليس بهذه
السهوله والبساطة ، فبيني وبينها
صداقة وعشرة امتدت لعشرات
السنين ، عشرات السنين من
القذارة والغباء والشجار ،
ولايمكن أن اتخلى عن كل هذا في
لحظة كأنه لم يكن (يضحك من
نفسه غير مصدق) يا إلهي . بقيل
أنت مدهش ، ها أنت تعود
لخيالك القديمة أليس كذلك ؟
لازالت كما أنت يا بقيل رجلا
سلبياً ، لاتنكر ، لقد ضبطتك
متلبساً في هذه المرة ! دائما تخاف
من الفعل ، ولاتملك القرار ،
ولكن لا بأس ، فلينته هذا
الأمر ، لن أكون ذلك الرجل
الذي كرهته ، سأفعلها الآن .
سأفعلها سأفتح الأبواب وأدعها
تذهب . .
نعم هذا أمر ، هذا أمر
سمعاً وطاعة ياسيدي الرفيق ،
سمعا وطاعة .
(بقيل يطيع الأوامر ، فيفتح
الأبواب ثم يسوق الخنازير إلى
الخارج)
هيا ، . . . هيا ، . . استبقوا
(يضرب الخنازير بقدميه وبالعصا)

هيا . . . هيا إلى الخارج ، لقد
انتهى السجن وجاءت لحظة
الحرية ، هذه أوامر من القائد
العام ، عفو فوري دون قيد أو
شرط ، أمر القائد العام الرفيق
الأول بإطلاق سراحكم دون قيد
أو شرط .
(الخنازير تصدر أصواتاً قلقة
وتحدث جلبة شديدة وتحرك لحظة
كانت ساكنة جدا)
هيا إلى الخارج ، . هيا ،
كلكم ، . على أقدامكم . . . ،
هيا أيها الخنازير . . .
الا تشمون رائحة الحرية ؟ . .
هيا إلى الخارج . . . هيا
(بقيل لازال يطرد باقي الخنازير
خارج الزريبة وهي تحدث صخبا
شديدا يناسب اللحظة ، تظهر
براسكوفيا وهي تمسك في يدها
مصباحاً زيتياً وترتدي ملابس
النوم .
تنظر إلى الباب المفتوح . وإلى
والمزاود الفارغة لتدرك ما فعله
بقيل . تسمع أصوات الخنازير
من بعيد ، لحظات شاحبة جدا ،
بقيل وبراسكوفيا يتبادلان
النظرات في صمت يغلف المكان
كله ، براسكوفيا تتدارك لتجلس
بجوار بقيل على حافة مزود)

براسكوفيا : (بصوت هامس) نبدو كما لو كنا في كنيسة أليس كذلك ؟ يجب أن تنطق كلماتك همساً بهدوء وسكينة ، إنني لا أصدق مايحدث ، تعرف لم يخطر ببالي يوماً إن هذه اللحظة ستأتي ، سنوات وسنوات من الضجيج والصخب قد ذهبت في لحظة (تهز رأسها) الصراخ والأنين وكل الاصوات المخيفة قد ذهبت ، ذهبت بكل بساطة ، هل هذا حلم ؟

بقيل : حلم ولكنك مستيقظة يابراسكوفيا

براسكوفيا : هل حقا انتهى كل شيء ؟

بقيل : لا ذنب لي ، إنني أطعت الأوامر .

براسكوفيا : ماذا تعني ؟ أوامر من ؟

بقيل : (يشير إلى المرآة) أوامره يابراسكوفيا ، أوامر الرفيق الأول سيدي القائد العام ! ولا تسألني من أين جاء أو ما الذي يفعله هنا ، الجندي الحقيقي — الذي لم أكنه أبداً — لايوجه لقائده أية أسئلة ، عليه فقط أن يطيع الأوامر خاصة وأنها لم تكن أوامر معقدة بل في غاية البساطة ، الجندي بقيل ايفانوفيتش نالروتسكي افتح الأبواب وأطلق الخنازير .

براسكوفيا : بهذه البساطة ؟ !

بقيل : نعم ببساطة شديدة

براسكوفيا : (تقهر ضحكة ارتسمت على شفتيها ولازالت تتكلم همساً) أعتقد أن شيئاً ما قد حدث لي ، فقدت لقمة عيشي من هنا ، أقصد وسيلة كسبنا الوحيدة ، لقمتنا الآمنة ، وها نحن نجلس على أطلال خربة وكل ما أحس به هو الرغبة في الضحك ، . . . وأنت بماذا تحس ؟

بقيل : لا أشعر بشيء .

براسكوفيا : لا بأس ، أعتذر مقدما فأنا لا أستطيع أن أمنع نفسي من الضحك

بقيل : هيا اضحكي لاتخجل اضحكي

براسكوفيا : لا يمكن لإنسان أن يضحك في الكنيسة يا بقيل (تنفجر في الضحك على كل شيء ، وتشير إلى الأبواب المفتوحة ، ثم إلى

نفسها وإلى بلهيل . . . . . .
تضحك بصوت عالٍ ضحكةً معديةً تنتقل لمن يسمعها ، غير أنها تشعر بإرهاق بعد الانتهاء من الضحك ، أما بلهيل فقد اقترب من الإغماء ، بعد أن أصابه الجمود والإنهاك)
أما الآن فأنا أشعر برغبة قوية في البكاء .

بلهيل : ولماذا لاتبكين ؟ هل هذا ممنوع أيضا في الكنيسة ؟

براسكوليا : نعم سأبكي بأعلى صوت إن كان هذا يريحك (تدعك عينيها) إنني فخورةٌ بك يابلهيل ، إنني لا أصدق ! لم يكن لدى الشجاعة لأن أفعل مافعلته !

بلهيل : شجاعة ؟ عمن تتحدثين يابراسكوليا ؟

براسكوليا : أتحدث عنك

بلهيل : (يهز رأسه) لم تكن شجاعة ولا قدرة ولكنه كان يأسا ، نوعٌ من فقدان العقل والروح وشعور باليأس والهزيمة ، كان علىّ أن أفعل شيئاً وهذا ما وصل إليه عقلي .

براسكوليا : هذا تواضعٌ منك في غير محله ، كانت خطوة جريئةً حررتنا ، دعني اعترف لك الآن ، لقد كنت يائسة من أي أمل بحررنا ، ظننت أن الموت وحده هو القادر على قتل بؤسنا وشقائنا ، لم أكن قادرة على مجرد تصور هذه الفكرة . . إذا كنت تريد الحقيقة يابلهيل فأنا كنت راكعة على قدمى أصلى لله القدير ، عندما سمعت صياح الخنازير وهي فرحة بالحرية ، لماذا لا تغنى أغنيةً جيلة ، هل تبدو فكرة سخيفة ؟ ما رأيك ؟

بلهيل : أغنية ، هذا عين الصواب ، فكل الناس يغنون .

براسكوليا : نعم عندما يكونون سعداء ، وأحيانا حينما يكونون تعساء يغنون ، أعتقد إن لدى أغنية جيلة .

بلهيل : ألازلتِ تذكرينها

براسكوليا : نعم لازلت أذكر (تغني أغنية قصيرة جداً) والآن ما هي الخطوة الجريئة القادمة يابلهيل ؟

بلهيل : (يشير إلى الباب) ألا تبدو واضحة ؟ إنها تنادينا !

براسكوليا : هل سنخرج ثانية ؟

بلهيل : (يهز رأسه بالإيجاب)ولكنني لن أختبيء داخل فستان في هذه المرة ، سأذهب بصفتي بلهيل ابهانوفيتش نالفرونسكي (زفرة يائسة) لم يخطر ببالي أن تأتي هذه اللحظة ، لقد ظننت أن حياتي ستنتهي هنا مع الخنازير ، دون لحظة مصالحة أو سلام ، وكم تمنيت في تلك اللحظات أن أغمض عيني ، وأخلد للنوم أكثر من أي شيء في حياتي ، ولكن حينما عبرت الخنازير هذا الباب إلى عالم الحرية ، . !! يا إلهي صدقيني يا براسكوليا كان شيئاً خرافيا ! شيء يستحق أن يكتب في التاريخ ، كنت أريد أن أنضم إليها ، لو كان هناك شيء محترمٌ يستر جسدي لخرجت معها إلى العالم الرحب . . عالم الحرية .

براسكوليا : تعني انك ستسلم نفسك ؟

بلهيل : نعم فهذا قدري ، نعم قدري ، ذلك القدر الأعوج ، ذلك الذي سلسل حرية رجل واستسلامه في قيد واحد ، لم يكن لي اختيار (ابتسامة تنطفيء على شفتيه) كان أمراً مقضياً أن أخرج من سجني وأواجه قدري ، ما الذي سيحدث سأحاكم وأعاقب ؟ هي ليست مشكلة إنما المشكلة أني عشت وحيدا معزولاً هنا ، لقد نسيت عيون الناس فكيف سأنظر في عيونهم ومع ذلك فهناك دائماً شيء أكبر من خوفي ، هو شوقي ، ولهفتي ، لهذا العالم ، الذي يقبع خلف هذا الباب . فأنا لا أنتمي لهذا المكان القذر ولكن لهذا الحلم الجميل الرابض خلف هذه الجدران . لقد تملكني الشوق إليه يابراسكوليا ، حتى لو كان عقابي الحرق فحسبي أن عيني ستلتقيان بعيون الرجال وهم يصوبون بنادقهم إلى رأسي ، ستكون عيونهم وطني وسكني الذي انتمي إليه وأحبها قدر كراهيتي لهذه الزريبة .

براسكوليا : إذن دعنا نفعلها ، سأحضر شيئاً تلبسه (تغادر المكان ولكنها تتوقف بعد خطوات) ما يحزنني أنني كنت أتوق للذهاب إلى «باربينسك» ولكن لا بأس إنني مستعدة الآن (تخرج بينما يتسلل شعاع من ضوء الفجر عبر الأبواب المفتوحة ، بلهيل يحضر وعاء الماء ويبدأ في تنظيف نفسه ، حينئذ تلحظ الطين والوسخ اللذين يغطيان الحوائط فيهرع إلى خرقة قماش مبللة ويبدأ في تنظيف ، الحوائط فيبدو منهمكاً لأقصى حد . ، تدخل براسكوليا ومعها بدلة الزواج السوداء الخاصه به وقد ارتدت ملابسها)

بلهيل : ماذا تمسكين في يدك ؟

براسكوليا : ألا تعرفها ؟ إنها بزة زواجنا !

بلهيل : يا إلهي ، كان هذا من سنوات بعيدة هل تعتقدين أنه يمكنني ارتداؤها ؟

براسكوليا : نعم ، رغم البؤس والشقاء والسنين لازالت موجودة ، لقد حاولت أن أصونها لك لأنني كنت اشعر أنك يوماً ما ستحتاج لها (بلهيل يبدأ في ارتداء البدلة) كيف ستتصرف يا بلهيل فلا يوجد احتفال بالنصر في هذه المرة ؟ أقول لك لن نحتاج لأي إحتفال ليس عليك الا أن تقف في نهايه الشارع وتعلن للعالم مَنْ أنت وماذا فعلت ، لا أعتقد أن أحداً سيضايقه أن يسمع قصتك ، سيقولون لازال العالم يعج بالمغفلين ، ولكن أحداً لا يهتم بهم إلا الشرطة ، ربما كانت فكرة الشرطة هي أقصر الطرق لأنهم سيأخذونك إلى القسم وهناك سيعرف الجميع وبشكل رسمي جداً مَنْ أنت .

بلهيل : (بكبرياء) أنا لست مجرماً عادياً يابراسكوليا تعتقله الشرطة ، فاللوائح العسكرية تقول : إن الهرب من ميدان الحرب هو أسوأ مايمكن أن يفعله الجندي (لازال يرتدي بدلته) سأسلم نفسي لقيادة الكتيبة العسكرية الثالثة مشاة ، فهيا بنا ، . . هيا فلنخرج الآن .

براسكوليا : لو كان هناك عزاء لنا فأعتقد أننا قد وهبنا أنفسنا لضوء الشمس التي كنا نحلم بها أمس . . هيا بنا . . . هيا .

(يخرجان من الزريبة)

(إظــــــلام)